سيرة ابن هشام
الجزء الثاني

صفحة 224 - نهاية الجزء الثاني

ألَظَّ بهذا الصِلح كل مُبــــَرإٍ عظيم اللواء أمره ثَمَّ يُحمدُ[1]
قَضَوْا ما قَضَوْا في ليلهم ثم أصبحوا على مَهَلٍ وسائر الناس رُقَّدُ
همُ رَجعوا سهلَ بنَ بيضاء راضيـاً وسُر أبو بكر بها ومحمدُ
متى شُرك الأقوامُ في جُل أمرِنــا وكنا قديماً قبلَها نتودّدُ
وكنا قديما لا نقِرُّ ظلامــــةً وندرك ما شئنا ولا نتشددُ
فيا لَقُصيٌّ هل لكم في نفوسِكــم وهل لكم فيما يجيءُ به غد
فإني وإياكم كما قال قائـــل لديك البيانُ لو تكلمت أسودُ[2]

ما رثى به حسان المطعم بن عـدي وذكـره نقضـه الصـحيفة :

وقال **حسان بن ثابت :** يبكـى المطْعِـم بـن عـدي حيـن مـات ، ويـذكر قيامه في نقض الصحيفة :

أيا عينُ فابكي سيدَ القومِ واسفحي بدمعٍ وإن أنزَفْتِه فاسكبي الدمَا
وبكِّى عظيمَ المُشعرين كليْهمـا على الناس معروفاً له ما تكلما
#فلو كان مجدٌ يُخلد الدهرَ واحـداً من الناسِ، أبقى مجدُه اليومَ مُطْعِمَـــا[3]
أجرتَ رسولَ اللّه منهم فأصبحوا عبيدَك ما لي مُهلّ وأحْرَمَا
فلو سُئلتْ عنه مَعَدٌّ بأسرِهــا وقحطانُ أو باقي بقيةِ جُرْهُمَا
لقالوا هو الموفِي بخُفْرَةِ جــاره وذمتُه يوماً إذا ما تذمَّما[4]
فما تطلعُ الشمسُ المنيرةُ فوقَهـمٍ على مثلِه فيهم أعَزَّ وأعظمَا
وآبَى إذا يأبى وألْينَ شيمـــة وأنومَ عن جار إذا الليلُ أظلما

---

[1] ألظ : ألح .

[2] أسود: اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل ، فلم يعرف قاتله ، فقال أوليـاء المقتول هذه المقالة، فذهبت مثلا.

[3] هذا عن النحويين من أقبح الضرورة، لأنه قدم الفاعل ، وهو مضاف إلى ضمير المفعول؛ فصار في الضرورة .

[4] الخفرة : العهد.

قال ابن هشام : قوله "كليهما " عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : وأما قوله : " أجرْت رسـول اللّـه منهـم "، فـإن رسول اللّه صلي الله عليه وسلم لمـا انصـرف عـن أهـل الطـائف ، ولـم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، من تصديقه ونصرته ، صار إلى حراء، ثم بعث إلى الأخنس بن شـريق ليجيـره ، فقـال : أنـا حليـف ، والحليـف لا يجيـر. فبعث إلى سُهيل ابن عمرو، فقال : إن بنى عامر لا تجير على بني كعب . فبعث إلى المطْعِم بن عدي فأجابه إلى ذلـك ، ثـم تسـلح المطعـم وأهـلُ بيته ، وخرجوا حتى أتوا المسجد، ثم بعث إلى رسول اللّه صلى الله عليـه وسلم أن أدخـل ، فـدخل رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ، فطـاف بالبيت وصلى عنده ، ثم انصرف إلى منزله . فذلك الذي يعني حسان بـن ثابت .

حسان يمدح هشام بن عمرو لقيامه فـي نقـض الصـحيفة :

قال ابن إسحاق : وقال حسانُ بن ثابت أيضا: يمدح هشام بـن عمـرو لقيامه في الصحيفة :

هل يُوفينَّ بنو أميةَ ذمةً من معشر عَقْداً كما أوْفَى جِوارُ هشـــام

من معشر لا يَغْدِرون بجارِهم للحارث بن حُبَيِّب ابن سُخَام[5]

وإذا بنو حِسْلٍ أجاروا ذمةً أوفَوْا وأدَّوْا جارَهم بسلاَمَ

وكان هشام أحد سُحام .

قال ابن هشام : ويقال : سخام .

---

[5] ابن سخام ، سخام : اسم أمه ، وأكثر أهل النسب يقولون فيه : شـحام بشين معجمة .

إسلام الطفيل بن عمرو الدَّوْسي

قريشٍ تحذره من استماعه للرسول : قـال ابـن إسـحاق :

وكان رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم، على مـا يـرى مـن قـومه ، يبـذل لهم النصيحة، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيـه . وجعلـت قريـش ، حيـن منعه اللّه منهم يحذِّرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب .

وكان الطُّفَيْل بن عَمرو الدوسي يحدث : أنه قـدم مكـةَ ورسـولُ اللّـه صلى الله عليه وسلم بها، فمشى إليه رجال من قريـش ، وكـان الطُّفيـل رجلا شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له : يا طفيل ، إنـك قـدمت بلادَنـا، وهـذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضَل بنا[6]، وقد فرَّق جماعتنا، وشـتَّت أمرنـا، وإنما قوله كالسحرِ يفرِّق بين الرجلِ وبينَ أبيه ، وبينَ الرجلِ وبين أخيـه ، وبين الرجل وبين زوجتِه ، وإنا نخشـى عليـك وعلـى قومِـك مـا قـد دخـل علينا، فلا تكلمنَّه ولا تسمعنَّ منه شيئا.

استماعه للرسول صلى الله عليه وسلم: قال : فواللّه ما زالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه ، حتى حشوتُ فـي أذنـي حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفاً[7] فَرَقاً من أن يبلغني شىء مـن قـوله ، وأنا لا أريد أن أسمعَه . قـال : فغـدوْت إلـى المسـجدِ، فـإذا رسـول اللّـه صلى الله عليه وسلم قائمٌ يصلى عند الكعبة . قال : فقمـت منـه قريبـاً، فأبى اللّه إلا أن يسمعني بعضَ قولِه . قال : فسمعت كلاماً حَسَناً. قـال : فقلتُ في نفسي : واثُكْلَ أمي، واللّه إني لرجـل لـبيب شـاعر مـا يخفـى علىَّ الحسنُ من القبيح ، فما يمنعني أن أسمعَ من هذا الرجل ما يقـول ! فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته.

---

[6] أعضل : اشتد أمره .

[7] الكرسف : القطن .

إسلام الطفيل : قال : فمكثت حتى انصرف رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى بيته فاتبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه ، فقلت : يا محمد، إن قومَك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا ؛ فواللّه ما بَرحوا يخوِّفونني أمرَك حتى سَددت أذني بكُرْسُفٍ لئلا أسمعَ قولك ، ثم أبي اللّه إلا أن يُسمعني قولَك ، فسمعته قولاً حسناً، فاعرض عليَّ أمرَك . قال : فعرض عليَّ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم الإسلامَ ، وتلا عليَّ القرآن ، فلا واللّه ما سمعت قولاً قطُّ أحسنَ منه ، ولا أمراً أعدلَ منه . قال : فأسلمتُ وشهدت شهادة الحقِّ ، وقلت : يا نبي اللّه ، إني امرؤ مطاعٌ في قومي وأنا راجع إليهم ، وداعيهم إلى الإسلام ، فادعُ اللّه أن يجعلَ لي آيةً تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه فقال : اللهم اجعلْ له آيةً.

آية للطفيل ليصدقه قومه : قال : فخرجتُ إلى قومي ، حتى إذا كنت بِثَنيَّة[8] تُطلعني على الحاضر[9] وقع نور بين عينيَّ مثل المصباح ؛ فقلت : اللهم في غير وجهي ، إني أخشى أن يظنوا أنها مُثْلةٌ وقعتْ في وجهي لفراقي دينَهم قال : فتحول فوقع في رأس سوطي . قال : فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سَوْطي كالقنديل المعلَّق ، وأنا أهبط إليهم من الثَّنيةِ، قال : حتى جئتُهم فأصبحتُ فيهم .

إسلام والد الطُّفيل وزوجه : قال : فلما نزلت أتاني أبي ، وكان شيخاً كبيراً، قال : فقلت : إليكَ عنى يا أبت ، فلستُ منك ولستَ منى قال : ولم يا بنى؟ قال : قلت : أسلمتُ وتَابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم : قال : أي بني ، فديني دينُك ؛ قال : فقلت : فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت . قال : فذهب فاغتسل ، وطهر ثيابه . قال : ثم جاء فعرضت عليه الإسلام ، فأسلم .

---

[8] الثنية : ما انفرج بين الجبلين .

[9] الحاضر: القبيلة النازلة على الماء.

قال : ثم أتتني صاحبتي ، فقلتُ : إليك عنى، فلستُ منك ولستِ منـي ؟ قالت : لم ؟ بأبي أنت وأمي؟ قال : قلت : قد فرق بيني وبينَك الإسلامُ ، وتابعتُ دينَ محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قالت : فـديني دينـك ؛ قَـال : قلت : فاذهبي إلى حِنَا ذِي الشَّرَى[10] - قال ابن هشام : ويقال : حِمَى ذي الشَّرَى - فتطهري منه .

قال : وكان ذو الشرى صنماً لدوس ، وكان الحمـى حمـى حمـوه لـه ، وبه وَشَل[11] من ماء يهبط من جبل .

قال : فقالت : بأبي أنت وأمي، أتخشى على الصِّـبْية مـن ذي الشـرى شيئاً؟ قال : قلت : لا، أنا ضامن لـذلك ، فـذهبتْ فاغتسـلت ، ثـم جـاءت فعرضتُ عليها الإسلام ، فأسلمت .

دعاؤه قومه للإسلام : ثـم دعـوت دَوْسـاً إلـى الإسـلام ، فـأبطئوا علىَّ، ثم جئت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بمكة فقلت له : يـا نـبى اللّه ، إنه قد غلبنى على دوس الزِّنا[12]، فـادعُ اللّـه عليهـم ؟ فقـال : اللهـم اهدِ دوساً، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهـم . قـال : فلـم أزل بـأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول اللّه صلى الله عليـه وسـلم إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق ، ثم قدمت على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي ، ورسول اللّه صلى الله عليه وسلم بخيبر، حتى نزلت المدينة بسـبعين أو ثمـانين بيتـاً مـن دَوْس ، ثـم لحقنا برسول اللّه صلى الله عليه وسلم بخيبر، فأسهم لنا مع المسـلمين .

---

[10] حنا ذي الشرى: وقد قال ابن هشام : هو حمـى، وهـو موضـع حمـوه لصنمهم ذي الشرى، فإن صحت رواية ابن إسحاق ، فالنون قد تبدل من الميـم ، كما قالوا: حلان وحلام للجدي ، ويجوز أن يكون من حنوت العود، ومن محنية الوادي ، وهو ما انحنى منه .

[11] الوشل : الماء القليل .

[12] الزنا: هنا: لهو مع شغل القلب .

ثم لم أزل مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، حتى إذا فتح اللّه عليه مكة،

قال : قلت يا رسول اللّه ، ابعثني إلى ذي الكفين ، صنم عَمرو بن حُمَمة حتى أحرقه .

إحراق صنم ذي الكفين : قال ابن إسحاق : فخرج إليه ، فجعل طفيل يوقد عليه النار ويقول :

يا ذا الكفين لستُ من عبادِكا ميلادُنا أقدمُ من ميلادِكا[13]

إني حشوتُ النارَ في فؤادِكا

جهاده معه صلى الله عليه وسلم وموته : قال : ثم رجع إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فكان معه بالمدينة حتى قبض اللّهُ رسولَه صلى الله عليه وسلم ، فلما ارتدت العرب ، خرج مع المسلمين ، فسار معهم حتى فرغوا من طُلَيْحة، ومن أرض نجد كلها. ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة، ومعه ابنه عمرو بن الطفيل ، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة، فقال لأصحابه : إني قد رأيت رؤيا فاعبرُوها لي، رأيت أن رأسي حُلق ، وأنه خرج من فمي طائر، وأنه لقيتنى امرأة فأدخلتني في فرجِها، وأرى ابنى يطلبني حثيثًا ثم رأيته حُبس عنى؛ قالوا: خيرا؛ قال : أما أنا واللّه فقد أولتها: قالوا: ماذا؟ قال : أما حلق رأسي فوضعه ، وأما الطائر الذي خرج من فمى فروحى، وأما المرأة التي أدخلتني فرجها فالأرض تُحفر لي، فأغيب فيها، وأما طلب ابنى إياي ثم حبسه عنى، فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابنى . فقُتل رحمه اللّه شهيدا باليمامة، وجرح ابنه جراحة شديدة، ثم استبل[14] منها، ثم قتل عام اليرموك في زمن عمر رضي الله عنه شهيدا.

---

[13] أراد: الكفين بالتشديد، فخفف للضرورة، غير أن في نسخة الشيخ أن الصنم كان يسمى : ذا الكفين ، وخفف الفاء بخطه بعد أن كانت مشددة، فدل أنه عنده مخفف من غير الشعر، فإن صح هذا فهو محذوف اللام . عن الروض الأنف .

[14] استبل : شفى .

قصة أعشى بني قيس بن ثعلبة

قدومه على الرسول ومدحه : قال ابن هشـام : حـدثني خلاد ابن قُرَّة بن خالد السَّدوسى وغيره مـن مشـايخ بكـر بـن وائـل مـن أهـل العلم : أن أعشى بنى قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، خرج إلى رسول اللّه صـلى اللـه عليـه وسـلم يريـد الإسـلام ، فقال يمدح رسول اللّه صلى الله عليه وسلم :

ألم تغتمضْ عيناك ليلةَ أرمدَا وبِتَّ كما بات السليمُ مُسهَّدَا[15]
وما ذاك من عشق النساءِ وإنما تناسيتَ قبلَ اليوم خلةَ مهدداَ[16]
ولكنِ أرى الدهرَ الذي هو خائن إذا أصلحتْ كفاى عاد فأفسدَا
كهولاً وشبانا فقدت وثــروة فللّهِ هذا الدهرُ كيف ترددَا
وما زلت أبغي المالَ مذ أنا يافع وليداً وكهلاً حين شبتُ وأمْردَا
وأبتذلُ العِيسَ المراقيلَ تُغْتلـي مسافةَ ما بينَ النَّجَيْر فصَرْخَدا[17]

---

[15] لم ينصب ليلة على الظرف ، لأن ذلك يفسد معنـى الـبيت ، ولكـن أراد المصدر فحذفه ، والمعنى : اغتماض ليلة أرمد، فحـذف المضـاف إلـى الليلـة، وأقامها مقامه ، فصار إعرابها كإعرابه ، رقد روي هـذا الـبيت : ليلـك بالكـاف ، ومعناه غمض أرمد، وقيل : بل أرمد على هذه الرواية من صفة الليل ، أي حال منه على المجاز، كما تقول : ليلك قائم ونهارك صائم وقيل الأرمد: من يشتكي الرمد. والسليم : الملدوغ والمسهد الذي منع من النوم .

[16] " تناسيت قبل اليوم خلة مهدداً " فعلل من المهد؛ ولولا قيام الدليل على أن الميم أصلية لحكمنا بأنه مفعل؛ لأن الكلمة الرباعية إذا كان أولها ميمـا أو همزة، فحملها على الزيادة، إلا أن يقوم دليل على أنها أصلية؛ والدليل علـى هذه الكلمة ظهـور التضـعيف فـي الـدال؛ إذ لـو كـانت الميـم زائـدة لمـا ظهـر التضعيف ، ولقلت فيه . مهد كما تقـول : م ـرد ومكـر ومفـر فـي كـل م ـا وزنـه مفعل من المضاعف ، وإنما الدال

في مهدد ضوعفت للإلحاق ، ليلحق ببناء جعفر

[17] العيس : نوع مـن الإبـل الـبيض الـتي تخالطهـا حمـرة . والمراقيـل : السـريعة . وتغتلـي : تتسـابق . . والنجيـر والصـرخة : مكانـان بعينهمـا، وأهـل النجير أول من ارتد في خلافة أبي بكر بعد أهل دبا وكان أهل دبا قـد حاصـرهم حذيفة بن أسيد. وحاصر أهل النجير زياد ابن لبيد بأمر أبي بكر.

ألا أيهذا السائلى أين يَمَّمــتْ فإن لها في أهلِ يثربَ مَوْعدَا
فإن تسألي عني فيا رُبّ سائــلٍ حَفِى عن الأعشى به حيثُ أصعدا
أجدَّتْ برجليها النجاءَ وراجعـتْ يداها خِنافاً لِيناً غيرَ أحْردَا[18]
وفيها إذا ما هجَّرَت عَجْرَفِيَّــة إذا خِلْتَ حَرْباءَ الظهيرةِ أصْيدَا[19]
فآليتُ لا أرثى لها من كُلالــةٍ ولا من حَفًى حتى تُلاقي محمدَا[20]
متى ما تُنَاخِي عندَ بابِ ابنَ هاشم تُراحي وتَلْقَى من فواضلِه نَدَى
نبيًّا يرى ما لا تروْن وذِكْــرُه أغار لَعَمْرِي في البلادِ وأنْجدَا[21]
له صدقات ما تغِبُّ ونائِــل وليس عطاءُ اليومِ مانعَه غدَا[22]

---

[18] لينا غير أحردا. أي : تفعل ذلك من غير حـرد فـي يـديها. أي اعوجـاج . وقيل الأحرد: الذي يبطئ في السير.

والنجاء: ضرب من السرعة . والخناف : لوي يديها في السير نشاطا.

[19] هجرت : مشت في الهاجرة وهي الظهيرة . والعجرفية : التي لا تهاب شيئا. والحرباء: دويبة يدور وجهها مع الشمس كيفما دارت ، كـانت فـي وسـط السماء في أول الزوال . والأصيد: المائل العنق.

[20] أرثى : أشفق.

[21] " أغار لعمرى في البلاد وأنجدا ": المعروف في اللغة : غار وأنجد، وقد أنشد هذا البيت : " لعمري غار فـي البلاد وأنجـدا ". والغـور: مـا انخفـض مـن الأرض ، والنجد: ما ارتفع منها، وإنما تركوا القياس في الغـور، ولـم يـأت علـى أفعل إلا قليلا، وكان

قياسه أن يكون مثل أنجد، لأنه من أم الغور، فقد هبط ونزل ، فصـار مـن باب غار الماء، ونحو ذلك .

[22] وليس عطاء اليوم مانعه غدا: معناه على " رفع " العطاء "ونصـب " مانع ، أي : ليس العطاء الذي يعطيه اليوم مانعاً له غدا من أن يعطيـه ، فالهـاء عائدة على الممدوح ،فلو كانت عائدة على العطاء لقال : وليـس عطـاء اليـوم مانعه هو، بإبراز ضمير الفاعل ،

لأن الصلة إذا جرت على غيـر مـن هـي لـه بـرز الضـمير المسـتتر بخلاف الفعل ، ولو نصب على هذا مضمراً فيهـا عائـداً علـى النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم العطاء لجاز على إضمار الفعل المتروك إظهاره ، لأنه من بـاب اشـتغال الفعل عن المفعول بضميره ، ويكون اسم ليس.

أجِدُّك لم تسمعْ وَصَاةَ محمـدٍ نبيِّ الإلهِ حيثُ أوْصَى وأشْهدَا
إذا أنت لم ترحلْ بزادٍ من التُّقَى ولاقَيْتَ بعدَ الموتِ من قَد تَزَوَّدَا
ندمتَ على أن لا تكونَ كمثلِـه فتُرْصِدُ للموتِ الذي كان أرْصَـــ
فإياك والميتَاتِ لا تقربنَّهـــا ولا تأخذَنْ سهماً حديداً لتُفْصِدَا
ولا النَّصَب المنصوب لا تنسكُنَّه ولا تعبد الأوثانَ والله فاعبدا[24]
ولا تَقْرَبنْ حُرَّةً كان سِرُّهـــا عليك حراماً فانْكَحَنْ أو تأبدَا[25]
وذا الرحِمِ القُرْبَى فلا تَقْطعَنَّـه لعاقبةٍ ولا الأسير المقيَّدَا
وسبِّح علِى حينِ العشياتِ والضُّحَى ولا تَحْمَدِ الشيطانَ واللّه فاحمدَا
ولاتسْخرَنْ من بائسٍ ذي ضَرارَةٍ ولا تحسَبَنَّ المالَ للمرءِ مُخلِدَا[26]

نهايــة الأعشــى : فلمـا كـان بمكـة أو قريبـا منهـا، اعترضـه بعـضُ المشركين من قريش ، فسأله عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول اللّـه صلى الله عليه وسلم ليسلم ، فقال لـه : يـا أبـا بصـير، إنـه يحـرِّم الزنـا، فقال الأعشى: واللّه إن ذلك لأمر ما لي فيه من أرَب ، فقـال لـه : يـا أبـا بصير، فإنه يحرم الخمر، فقال الأعشى: أما هـذه فـواللّه إن في النفـس منها لعُلالات ، ولكنى منصرف فأتروَّى منها عامى هذا، ثم آتيه فأسْـلم[27] ، فانصرف فمات في عامه ذلك ، ولم يَعُدْ إلى رسول اللّه صلى اللـه عليـه وسلم.

---

[23] أرصد : أعد .

[24] وقـف علـى النـون الخفيفـة بـالألف ولـذلك كتبـت فـي الخـط بـالألف والوقف عليها بالألف وقيـل إنـه لـم رد النـون الخفيفـة، وإنمـا خـاطب الواحـد بخطاب الاثنين .

[25] تأبد: بعد عن النساء.

[26] ضراوة : ضرورة .

[27] قال السهيلي : وهذه غفلة مـن ابـن هشـام ، ومـن قـال بقـوله: فـإن الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن مضت بـدر وأحد، وحرمت في سورة المائدة، وهي من آخر ما نزل؛ وفي الصـحيحين مـن ذلك قصة حمزة حين شـربها، وغنتـه القينتـان * ألا يـا حمـز، للشـرف النـواء * فبقر خواصر الشارفين ، واجتب سنميهما.

فإن صح خبر الأَعشى، وما ذكر له في الخمر، فلم يكن هـذا بمكـة، وإنمـا كان بالمدينة، ويكون القائل له : أما علمت أنه جرم الخمر، من المنـافقين ، أو من اليهود، فالله أعلم . وفي القصيدة ما يدل على هذا قوله "فإن لها في أهـل يثرب موعدا * وقد ألفيت للقالي رواية عـن أبـي عبيـدة قـال : لقـي الأعشـى عامر بن الطفيل في بلاد قيس ، وهو مقبل إلى رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسلم فذكر له أنه يحرم الخمر، فرجع ، فهذا أولى بالصواب .

أبو جهل يُذل للرسول : قال ابن إسحاق : وقد كـان عـدو اللـه أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسول اللّه صلى الله عليه وسـلم وبغضـه إياه ، وشدته عليه ، يُذلّه اللّهُ له إذا رآه.

أبو جهل والإراشي

مماطلة أبي جهل الإراشي : قال ابن إسحاق : حـدثني عبـدُ الملك بن عبد اللّه بن أبي سفيان الثقفى، وكان واعيةً، قال : قـدم رجـل من إرَاش[28] - **قال ابن هشام :** ويقال إراشة[29] - بإبل له مكة، فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثمانها. فأقبل الإراشـي حـتى وقـف علـى نـادٍ مـن قريش ، ورسول اللّه صلى الله عليه وسلم في ناحيـة المسـجد جـالس ، فقال : يا معشر قريش، من رجل يؤدينى[30] علـى أبـي الحكـم بـن هشـام فإنى

---

[28] وهو ابن الغوث أو ابن عمرو بن الغوث بن مالك بن زيد بـن كهلان بـن سبأ، وهو والد أنمار ولد بجيلة وخثعم .

[29] إراشة : بطن من خثعم ، وإراشـة مـذكورة فـي العمـاليق فـي نسـب فرعون صاحب مصر، وفي بلى أيضاً بنو إراشة .

[30] يؤديني : يساعدنى على استرداد حقـى، وهـو مـن الأداة الـتى توصـل الإنسان إلى ما يريد، كأداة الحرب ، وأداة الصانع ، فالحاكم يؤدي الخصم ، أي يوصله إلى مطلبه ، وقد قيل : إن الهمزة بدل من عين ، ويؤدي ويعدي بمعنـى واحد، أي ، يزيل العدوان ، والعداء وهو: الظلم ، كما تقول : يشكيك أي : يزيل شكواك .

رجل غريب ، ابن سبيل ، وقد غلبنى على حقى؟ قال : فقال له أهل ذلك المجلس : أترى ذلك الرجل الجالس – لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وهم يهزءون به لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة - اذهب إليه فإنه يؤديك عليه .

الرسول ينصف الإراشى من أبي جهل : فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقال : يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لي قِبَلَه ، وأنا رجل غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدينى عليه ، يأخذ لي حقى منه ، فأشاروا لي إليك ، فخذ لي حقى منه ، يرحمك اللّه؛ قال : انطلقْ إليه ، وقام معه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فلما رأوه قام معه . قالوا لرجل ممن معهم : اتبَعْه ، فانظر ماذا يصنع .

قال : وخرج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه . فقال : من هذا؟ قال : محمد، فاخرج إلىَّ، فخرج إليه وما في وجهه من رائحة[31]، قد انتُقع لونُه ، فقال : اعط هذا الرجل حقه؛ قال : نعم ، لا تبرحْ حتى أعطيَه الذي له ، قال : فدخل ، فخرج إليه قال : ثم انصرف رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وقال للإراشى الحق بشأنك ، فأقبل الإراشى حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاه اللّه خيراً، فقد واللّه أخذ لي حقي .

ما خافه أبو جهل من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم:

قال : وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا: ويحك ! ماذا رأيت ؟ قال عجباً من العجب

---

[31] فخرج إليه ، وما في وجهه رائحة، أي : بقية روح ، فكان معناه : روح باقية، فلذلك جاء به على وزن فاعلة .

واللّه ما هو إلا أن ضرب عليه بابَه ، فخرج إليه وما معه روحُـه فقـال له : أعط هذا حقه فقال : نعـم ، لا تـبرح حـتى أخـرج إليـه حقـه . فـدخل فخرج إليه بحقه ، فأعطاه إيـاه . قـال : ثـم لـم يلبـث أبـو جهـل أن جـاء، فقالوا: ويلك ! ما لك ؟ واللّه ما رأينا مثل ما صنعت قطّ ! قـال : ويحكـم واللّه ما هو. إلا أن ضرب علىَّ بابي ، وسمعت صـوته ، فملئـت رعبـاً، ثـم خرجت إليه ، وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ، ما رأيـت مثـل هـامته ، ولا قَصَرته ، ولا أنيابه لفحل قط ، واللّه لو أبيت لأكلني .

أمر ركانـة المطلـبي ومصـارعته النـبى صـلى اللـه عليـه وسلم من معجزاته صلى الله عليه وسلم: قال ابـن إسـحاق:

وحدثني أبي: إسحاق بن يسار قال: كان ركانة[32] بن عبد يزيد بـن هاشـم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن أشـد قريـش؛ فخلا يومـا برسـول اللـه صلى الله عليه وسلم في بعض شعاب مكة، فقال له رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم ياركانة، ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك إليه؟ قال: إني لـو أعلم أن الذي تقول حق لا تبعتك؛ فقال له رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم : أفرأيت إن صرعتك؛ أتعلم أن ما أقول حق؟ قال: نعم قال: فقم حتى أصارعك. قال : فقام إليه ركانة يصارعه فلما بطش به رسول اللـه صلى الله عليه وسلم أضجعه، وهو لا يملك من نفسه شيئاً، ثم قـال: عـد يـا محمـد ، فعـاد فصـرعه، فقـال – يـا محمـد واللـه إن هـذا للعجـب أتصرعنى؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأعجب من ذلك

---

[32] ركانة: من مسلمة الفتح وتوفي في خلافـة معاويـة، وهـو الـذي طلـق امرأته ألبتة، فسأله رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم عـن نيتـه فقـال: إنمـا أردت واحدة، فردها عليه، ومن حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قـال : "إن لكل دين خلقا، وخلق هذا الدين الحياء".

إن شئت أن أريكه ، إن اتقيت اللّه واتبعت أمري ؛ قال : ما هو؟ قال : أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتينى، قال : ادعها، فدعاها، فـأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم . قال : فقـال لهـا ارجعى إلى مكانك . قال : فرجعت إلى مكانها.

قال : فذهب رُكانة إلـى قـومه فقـال : يـا بنـى عبد منـاف ، سـاحروا بصاحبكم أهلَ الأرض ، فواللّه ما رأيت أسحر منه قَطّ ، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع .

قدوم وفد النصارى من الحبشة

أبو جهل يحاول ردهم عن الإسلام : قال ابن إسـحاق : ثـم قدم على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وهو بمكة، عشــرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة. فوجـدوه فـي المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ، ورجال من قريـش فـي أنـديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم عما أرادوا دعاهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل وتلا عليهـم القـرآن . فلمـا سـمعوا القـرآن فاضـت أعينهـم مـن الـدمع ، ثـم استجابوا للّه ، وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كـان يوصـف لهـم فـي كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بـن هشـام فـي نفـر من قريش فقالوا لهم : خيبكم اللّه من ركـب ! بعثكـم مَـن وراءكـم مـن أهل دينكم ترتادون لهم لتـأتوهم بخـبر الرجـل ، فلـم تطمئـن مجالسُـكم عندَه ، حتى فارقتم دينَكم وصدقتموه بما قال ، ما نعلم ركْباً أحمق منكم . أو كما قالوا. فقالوا لهم : سلام عليكم ، لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليــه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نألُ أنفسَنا خيراً.

ما نزل فيهم من القرآن : ويقال : إن النفر من النصارى من أهل نجران ، فاللّهم أعلم أي ذلك كان . فيقال - واللّه أعلم - فيهم نزلت هؤلاء الآيات : **{** الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ(52)وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ**}**. [القصص: 52،53] . إلى قوله :**{** لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**}**.[القصص: 55]

قال ابن إسحاق : وقد سألت ابنَ شهاب الزهريَّ عن هؤلاء الآيات فيمن أنزلن فقال لي: ما أسمع من علمائنا أنهن أنزلن في النجاشي وأصحابه . والآية من سورة المائدة من قوله :**{** ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**}**.[المائدة: 82]. . إلى قوله :**{** فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**}**.[المائدة: 83]

تهكم المشركين بالمستضعفين وما نزل في ذلك : قال ابن إسحاق : وكان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذا جلس في المسجد، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه : خَبَّاب ، وعمار، وأبو فَكيهة يسار مولى صفوان بن أمية بن مُحرّث ، وصُهَيب ، وأشباههم من المسلمين ، هزئت بهم قريش، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه ، كما ترون ؟ أهؤلاء مَنَّ اللّهُ عليهم من بيننا بالهدى والحق ! لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه ، وما خصهم اللّه به دوننا، فأنزل اللّه تعالى فيهم :**{** وَلَا تَطْرُدْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنْ الظَّالِمِينَ(52)وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِ نْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ(53)وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِ نْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}**.[الأنعام: 52ـ54]

ادعاء المشركين أنه يعلمه بشر ورد القرآن عليهم : وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم – فيما بلغني – كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مَبْيَعة غلام نصراني ، يقال له : جبر، عبد لبني الحضرمي ، فكانوا يقولون : واللّه ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتى به إلا جبر النصرانى، غلام بنى الحَضْرمى، فأنزل اللّه تعالى في ذلك من قولهم :**{** وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**}**.[النحل: 103]

قال ابن هشام : يُلحِدون إليه : يميلون إليه . والإلحاد: الميل عن الحق . قال رؤبة بن العَجَّاج :

إذا تَبع الضحاكَ كُلُّ مُلْحِدِ

قال ابن هشام : يعنى الضحاك الخارجي ، وهذا البيت في أرجوزة له .

سبب نزول سورة الكوثر

نزول سورة الكوثر في العاص بن وائل : قال ابن إسحاق : وكان العاص بن وائل السَّهْمي - فيما بلغنى - إذا ذُكر رسـول اللّـه صـلى الله عليه وسلم ، قال : دعوه فإنما هو رجل أبتر[33] لا عَقِب لـه لـو مـات لا نقطع ذكرُه واسترحتم منه ، فأنزل اللّه في ذلك : **{**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**}** [الكوثر: 1] ما هو خير لك من الدنيا وما فيها والكوثر: العظيم .

معنى الكوثر: قال ابن إسحاق : قال لَبيد بن ربيعة الكِلابي :

وصاحبُ مَلْحوبٍ فُجعنا بيومِه وعندَ الرداعِ بيتُ آخر كوثر

يقول : عظيم .

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصـيدة لـه . وصـاحبُ ملحـوبٍ : عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، مـات بملحـوب . وقـوله : " وعنـد الرداع بيت آخر كوثر ": يعنى شُـرَيح بـن الأحْـوص بـن جعفـر بـن كلاب ، مات بالرّداع . وكوثر: أراد: الكثير. ولفظه مشتق من لفـظ الكـثير. قـال الكُميت بن زيد يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :

وأنت كثير يابنَ مروان طيب وكان أبوك ابنَ العقائل كوْثرا

وهذا البيت في قصيدة له . وقال أمية بن أبي عائذ الهُذلي يصف حمار وحش :

---

[33] رجل أبتر: إذا مات انقطع ذكره . قال : كان القاسم ابـن رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم قد بلغ أن يركب الدابة، ويسير على النجيبة، فلمـا قبضـه اللّه ، قال العاص : أصبح محمد أبتر من ابنه ، فأنزل الله على نـبيه صـلى اللـه عليه وسلم : **{**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**}** [الكوثر: 1]عوضا يا محمـد مـن مصـيبتك بالقاسم .

يُحامي الحَقيقَ إذا ما احتدَمْن وحَمْحَمْنَ في كوثر كـالجِلال[34]

يعنى بالكوثر: الغبار الكثير، شبهه لكثرته عليه بالجلال . وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : حدثني جعفر بن عمرو - **قال ابن هشام :** هو جعفر بن عمرو بن أمية الضمْري - عن عبد الله بن مسلم أخى محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن أنس بن مالك قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل له يا رسول اللّه : ما الكوثر الذي أعطاك اللّه ؟ قال : نهر كما بين صنعاء إلى أيْلة، آنيته كعدد نجوم السماء، ترده طيور لها أعناق كأعناق الإبل . قال : يقول عمرُ بن الخطاب : إنها يا رسول اللّه لناعمة، قال : آكلُها أنعم منها".

قال ابن إسحاق : وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره أنه قال صلى الله عليه وسلم: من شرب منه لا يظمأ أبدا.

---

[34] الحقيق : ما يجب أن يحميه الإنسان ويريد هنا حماية أتنه ، والاحتدام سرعة الجري . والجلال : ما تلبسه الدواب لحمايتها.

نزول { وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ}[الأنعام: 8]

قال ابن إسحاق : ودعا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قومَه إلى الإسلام ، وكلمهم فأبلغ إليهم ، فقال زَمَعَة بن الأسود، والنضْر بن الحارث ، والأسود ابن عبد يَغوث ، وأبيُّ بن خلف ، والعاص بن وائل : لو جُعل معك يا محمد مَلَك يحدث عنك الناس ويُرَى معك ! فأنزل اللّه تعالى في ذلك من قولهم : **{** وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ(8)وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ**}**.[الأنعام: 8،9]

نزول{ وَلَقَدْ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ}

قال ابن إسحاق : ومر اللّه صلى الله عليه وسلم- فيما بلغنى - بالوليد ابن المغيرة، وأمية بن خلف وبأبي جهل بن هشام ، فهمزوه واستهزءوا به ، فغاظه ذلك . فأنزل اللّه تعالى عليه في ذلك من أمرهم : {وَلَقَدْ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون}[الأنعام: 10][35] .

---

[35] استهزئ برسل ، أي : أسمعوا من الكلام الذي يسمى استهزاء ما ساءهم تأنيساً له ، ليتأسى بمن قبله من الرسل ، وإنما سمى استهزاءً إذا كان مسموعاً، وهو من فعل الجاهلين . وأما السخر والسخرى، فقد يكون في النفس غير مسموع ، ولذلك تقول : سخرت منه . فالنبي يسخر: أي يعجب من كفر من يسخر به ، ومن سخف عقولهم .

ذكر الإسراء والمعراج

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد اللـه البكـائي ، عـن محمـد بـن إسحاق المطلبي قال : ثم أسْري[36] برسول اللّه صلى اللـه عليـه وسـلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقـدس مـن إيليـاء وقد فشا الإسلام ، بمكة في قريش، وفي القبائل كلها.

قال ابن إسحاق : كان من الحديث فيما بلغنـي عـن مَسـراه صـلى الله عليه وسلم ، عن عبد الله بن مسعود، وأبي سعيد الخدري ، وعائشـة زوج النبي صلى الله عليه وسلم؛ ومعاوية بن أبي سـفيان ، والحسـن بـن أبي الحسن البصري ، وابن شـهاب الزهـري ، وقتـادة وغيرهـم مـن أهـل العلم وأم هانئ بنت أبي طالب ، ما اجتمع في هذا الحـديث ، كـل يحـدِّث عنه بعض ما ذكر من أمرِه حين أسرى به صلى اللـه عليـه وسـلم، وكـان في مسراه ، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص ، وأمْر من أمر اللّه عز وجل فـي قدرته وسلطانه ، فيه عِبرة لأولي الألباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق ، وكان من أمر اللّه سبحانه

---

[36] اتفقت الرواة على تسميته إسراء، ولم يسمه أحد منهـم : سـرى، وإن كان أهل اللغة قد قالوا: سرى وأسرى بمعنى واحد. والسـرى مـن سـريت إذا سرت ليلا.

وتعالى على يقين ، فأسري به سبحانه وتعالى كيف شاء، ليريه من آياته ما أراد، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرتِه التي يَصنعُ بها ما يريد.

رواية ابن مسعود عن الإسراء: فكان عبد الله بن مسعود - فيما بلغنى عنه - يقول:

أتي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بالبراق - وهى الدابة التي كانت تُحمل عليها الأنبياء قبلَه ، تضع حافرَها في منتهى طرفِها - فحُمل عليها، ثم خرج به صاحبُه ، يرى الآياتِ فيما بين السماءِ والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيمَ الخليل وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء قد جُمعوا له ، فصلى بهم . ثم أتى بثلاثة آنية، إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر، وإناء فيه ماء. قال : فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : فسمعت قائلا يقول حين عُرِضتْ علي : إن أخذ الماء غرق وغرقت أمتُه ، وإن أخذ الخمر غَوي وغَوتْ أمتُه ، وإن أخذ اللبن هُدِيَ وهُديت أمتُه . قال : فأخذتُ إناء اللبن ، فشربت منه ، فقال لي جبريل عليه السلام : هُديتَ وهُدِيت أمتُك يا محمد.

رواية الحسن : قال ابن إسحاق : وحُدثت عن الحسن أنه قال : قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: بينا أنا نائمٍ في الحِجْر، إذ جاءنى جبريل ، فهمزني بقدمه ، فجلست فلم أرَ شيئاً فعدت إلى مضجعى، فجاءني الثانيةَ فهمزني بقدمه ، فجلست ، فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعى فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه ، فجلست ، فأخذ بعضدي ، فقمت معه ، فخرج بي إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض ، بين البغل والحمار، في فخذيه جناحان يحفز[37] بهما رجله ، يضع يده في منتهى طرفه ،

[37] الحفز: الدفع .

فحملني عليه ، ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته .

رواية قتادة : قال ابن إسحاق : وحُدثتُ عن قتادة أنه قال : حُدثت أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال : لما دنوت منه لأركبه شمس[38] ، فوضع جبريل يده على مَعْرفته ، ثم قال : ألا تستحى يا براق[39] مما تصنع ، فواللّه ما ركبك عبد للّهِ قبل محمد أكرم عليه منه . قال : فاستحيا حتى ارفضَّ[40] عرقا، ثم قرَّ حتى ركبته .

عودة إلى رواية الحسن : قال الحسن في حديثه : فمضى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ومضى جبريل عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء، فأمَّهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ، ثم أتي بإناءين ، في أحدهما خمر، وفى الآخر لبن . قال : فأخذ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إناء اللبن ، فشرب منه ، وترك إناء الخمر. قال : فقال له جبريل : هُديت للفطرة، وهُديَتْ أمتك يا محمد، وحُرمت عليكم الخمر. ثم انصرف رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى مكة، فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر. فقال أكثر الناس : هذا واللّه الإِمْر[41] البين ، واللّه إن العير لتطرد، شهرا من مكة إلى الشام مدبرة، وشهراً مقبلة، أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة، ويرجع إلى مكة؟! قال : فارتد كثير ممن كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبي بكر، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر في صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة . قال : فقال لهم

---

[38] شمس : حرن .

[39] وإنما نفر لبعد عهد البراق بركوب الأَنبياء، وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام .

[40] ارفض : سال .

[41] الإمر: العجب .

أبو بكر: إنكم تكذبون عليه ؛ فقالوا: بلى، هـا هـو ذاك فـي المسـجد يحدث به الناس ؛ فقال أبو بكـر: واللّـه لئـن كـان قـاله لقـد صـدق ، فمـا يعجبكم من ذلك ! فواللّه إنه ليخبرنى أن الخـبر ليـأتيه مـن السـماء إلـى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد ممـا تعجبـون منـه ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله . أحدَّثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال : نعـم ؛ قال : يا نبى اللّه ، فصـفه لـي ، فإني قـد جئتـه - قال الحسـن : فقـال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : فرفع لي حـتى نظـرت إليـه - فجعـل رسول اللّه صـلى اللـه عليـه وسـلم يصـفه لأبـي بكـر، ويقـول أبـو بكـر: صدقت ، أشهد أنك رسول اللّه ، كلما وصف له منه شيئاً، قـال صـدقت ، أشهد أنك رسول اللّه ، حتى إذا انتهى، قال رسول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسلم لأبي بكر: وأنت يا أبا بكر الصِّدِّيقُ ؛ فيومئذ سماه الصديق .

قال الحسن : وأنزل اللّه تعالى فيمن ارتد عن إسلامه لذلك : **{** وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّـاسِ وَالشَّـجَرَةَ الْمَلْعُونَـةَ فِـي الْقُـرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا**}**.[الإسراء: 60]

فهذا حديث الحسن عن مَسرَى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم. وما دخل فيه من حديث قتادة .

رواية عائشة: قال ابن إسحاق : وحدثني بعض آل أبـي بكـر: أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم

الإسراء رؤيا : فلم ينكر ذلك من قولهما، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت في ذلك ، قول اللّه تبارك وتعالى **{** وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ**}**[الإسراء: 60]، ولقول اللّه تعالى في الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه :**{** يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**}** [الصافات: 102] ثم مضى على ذلك . فعرفت أن الوحي من اللّه يأتى الأنبياء أيقاظا ونياما.

قال ابن إسحاق : وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - يقول : تنام عيناي وقلبي يقظان . واللّه أعلم أي ذلك كان قد جاءه ، وعاين فيه ما عاين ، من أمر اللّه ، على أي حاليه كان نائما، أو يقظان ، كل ذلك حق وصدق[42] .

---

[42] هنا يظهر سؤال . هل كان الإسراء في يقظة بجسده ، أو كان في نومه بروحه ؟ كما قال سبحانه :**{** اللَّهُ يَتَوَفى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا**}** [الزمر: 41] وقد ذكر ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنها كانت رؤيا حق ، وأن عائشة قالت : لم تفقد بدنه ، وإنما عرج بروحه تلك الليلة، ويحتج قائل هذا القول بقوله سبحانه : **{** وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ**}**[الإسراء: 60]. ولم يقل االرؤية ،، وإنما يسمى رؤيا ما كان في النوم في عرف اللغة، ويحتجون أيضا بحديث البخارى عن أنس بن مالك قال : ليلة أسري برسول اللّه صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه ، وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو؟ فقال أوسطهم : هو خيرهم ، فقال آخرهم ،

خذوا خيرهم فكان تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى، فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء عليهم السلام تنام أعينهم ، ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه ، حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبريل ". الحديث بطوله ،وقال في آخره : " واستيقظ، وهو في المسجد الحرام ، وهذا نص لا إشكال أنها كانت رؤيا صادقة، وقال أصحاب القول الثاني : قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية في اليقظة، قالوا: في الآية بيان أنها كانت في اليقظة لأنه قال : **{** وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ**}**[الإسراء: 60] ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير ممنْ أسلم ، ولو كانت رؤيا نوم ، لم يستبعد أحد منهم هذا، فمعلوم أن النائم قد يرى نفسه في السماء، وفي المشرق والمغرب ، فلا يستبعد منه ذلك . وذهبت طائفة ثالثة، منهم : شيخنا القاضى أبو بكر رحمه الله إلى تصديق المقالتين ، وتصحيح الحديثين ، وأن الإسراء كان مرتين ، إحداهما: كان في نومه توطئة له وتيسيراً عليه ، ورأيت المهلب في شرح البخاري قد حكى هذا القول عن طائفة من العلماء، وأنهم قالوا: كان الإسراء مرتين : مرة في نومه ومرة في يقظته ببدنه صلى الله عليه وسلم . عن الروض الأنف من تحقيقنا،وانظر أقوالا أخرى شافية في فتح الباري لابن حجر - من تحقيقنا أيضا. وراجع مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري - للمحقق .

وصفه صلى الله عليه وسلم إبراهيم وموسى وعيسى :

قال ابن إسحاق : وزعم الزهري عن سعيد بن المسيب أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه إبراهيمَ وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة، فقال : أما إبراهيمُ ، فلم أر رجلا أشبه قط بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ؛ وأما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أقنى[43] كأنه من رجال شنوءة[44] ؛ وأما عيسى ابن مريم ، فرجل أحمر، بين القصير والطويل ، سبط الشعر، كثير خيلان[45] الوجه ، كأنه خرج من ديماس[46] : تخال رأسه يقطر ماء، وليس به ما أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفى .

علي يصف الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن هشام : وكانت صفة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عمر مولى غفرة عن إبراهيم بن محمد بن على بن أبي طالب قال : كان علي بن أبي طالب عليه السلام : إذا نعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال : لم يكن بالطويل الممغَّط[47] ، ولا القصير المتردِّد، وكان رَبْعة من القوم ، ولم يكن بالجعْد القطط[48] ولا السبط : كان جعداً رجلا[49]، ولم يكن بالمطهَّم[50] ولا المكلثم[51] . وكان أبيض

---

[43] الضرب : خفيف اللحم . والجعد: المتكسر الشعر. والآقنى: المرتفع الأنف .

[44] شنوءة: قبيلة.

[45] الخيلان : الشامات السوداء.

[46] الديماس : الحمام .

[47] الممغط : الممتد.

[48] القطط : الشديد خشونة الشعر.

[49] رجلا: مسرح الشعر.

[50] المطهم : كثير اللحم ، وقال الأصمعي : هو التام في كل شئ، فهو بارع الجمال .

[51] المكلثم : المستدير الوجه ، ويقول الأصمعي : ليس كذلك ، ولكنه مسنون .

مشـربا[52] ، أدعـج[53] العينيـن ، أهـدب الأشـفار[54] ، جليـل المشـاش والكتـد[55] ، دقيـق المسـربة[56] ، أجـرد[57] ، شـثن[58] الكفيـن والقـدمين : إذا مشى. تقلع[59] ، كأنما يمشى في صبب ، وإذا التفت التفت معاً. بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين . أجـود النـاس كفـا، وأجـرأ النـاس صـدراً، وأصـدق النـاس لهجـة، وأوفـى النـاس ذمـة، وألينهـم عريكـة، وأكرمهـم عشرة، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه أحبه ، يقول ناعته : لـم أر قبلـه ولا بعده مثله ، صلى الله عليه وسلم[60] .

رواية أم هانئ[61] عن الإسراء: قال محمد بن إسـحاق : وكـان فيما بلغنى عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي اللّه عنها، واسمُها هند، في مسرى رسول اللّه صلى الله عليه وسـلم : أنهـا كـانت تقـول مـا أسـري برسول اللّه صلى الله عليه وسـلم إلا وهـو فـي بيـتي : نـائم عنـدي تلـك الليلة في بيتي ، فصلى العشاء الآخـرة، ثـم نـام ونمنـا، فلمـا كـان قبيـل الفجر أهبَّنا[62] رسول اللّه صلى الله عليه وسلم؛ فلما صلى الصبح وصـلينا معه ، قال : يا أم هانئ ، لقد

---

[52] مشربا: الذي أشرب حمرة .

[53] الدعج : سواد العيون .

[54] أهدب الأشفار: طويلها.

[55] المشاش : عظام رءوس المفاصل . والكتد: ما بين الكتفين .

[56] المسربة : الشعر الممتد من الصدر إلى السرة .

[57] الجرد: قلة شعر الجسم .

[58] شثن : غليظ .

[59] تقلع : لم يثبت قدميه .

[60] انظر صفة خُلقه الطاهر وخَلْقه الظاهر في الشمائل النبوية لابن كثير، والشمائل المحمدية والخصـائل المصـطفوية للإمـام الترمـذي . . الاثنيـن مـن تحقيقنا.

[61] أم هانئ : بنت أبي طالب أخت على رضى اللّه عنهما.

[62] أهبنا : أيقظنا .

صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين ، ثم قام ليخرج ، فأخذت بطرف ردائه ، فتكشف عن بطنه كأنه قبطية[63] مطوية، فقلت له : يا نبى اللّه : لا تحدث بهذا للناس فيكذبوك ويؤذوك ؛ قال : واللّه لأحدثنهموه . قالت : فقلت لجارية لي حبشية: ويحك اتبعى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى تسمعى ما يقول للناس ، وما يقولون له . فلما خرج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى الناس أخبرهم ، فعجبوا وقالوا: ما آية ذلك يا محمد؟ فإنا لم نسمع بمثل هذا قط ؛ قال آية ذلك إني مررت بعير بنى فلان بوادي كذا وكذا، فأنفرهم حس الدابة، فندَّ لهم بعير، فدللتهم عليه ، وأنا متوجه إلى الشام ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان[64] مررت بعير بنى فلان : فوجدت القوم نياماً، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشىء، فكشفت غطاءه وشربت ما فيه . ثم غطيت عليه كما كان ؛ وآية ذلك أن عيرهم الآن يصوِّب[65] من البيضاء، ثنية التنعيم ، يقدمها جمل أورق ، عليه غرارتان : إحداهما سوداء، والأخرى برقاء. قالت : فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل[66] كما وصف لهم ، وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءاً ماءً ثم غطوه ، وأنهم هبوا فوجدوه مغصَّ كما غطوه ، ولم يجدوا فيه ماء. وسألوا الآخرين وهم بمكة، فقالوا: صدق واللّه ، لقد أنفرنا في الوادي الذي ذكر، وندّ لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه ، حتى أخذناه .

---

[63] القبطية : ثياب كانت تنسج بمصر قديما من الكتان .

[64] جبل يبعد عن مكة حوالى40 كيلومتراً.

[65] يصوب : ينزل . البيضاء: مكان قرب مكة.

[66] أي كان الجمل المذكور أول ما لقيهم .

قصة المعراج

الرسول صلى الله عليه وسلم يصعد إلى السماء الأولى :

وقال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه أنه قال : سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول : لما فرغت مما كان في بيت المقدس ، أتي بالمعراج ، ولم أر شيئا قط أحسن منه : وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه إذا حُضر؟ فأصعدنى صاحبى فيه ؛ حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء، يقال له : باب الحفظة، عليه ملك من الملائكة، يقال له : إسماعيل[67] ، تحت يديه اثنا عشر ألف ملك ، تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك – قال : يقول رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حين حَدَّث بهذا الحديث :{ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر: 31] فلما دُخل بي قال : من هذا يا جبريل ؟ قال : محمد. قال : أوَقد بُعث ؟ قال : نعم . قال : فدعا لي بخير: وقاله .

صفة مالك خازن النار: قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم عمن حدثه عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : تلقتنى الملائكة حين دخلت السماء الدنيا، فلم يلقني ملك إلا ضاحكا مستبشرا[68]، يقول

---

[67] وقد جاء ذكر " إسماعيل " في مسند الحارث ، وفيه أن تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك ، هكذا لفظ الحديث في رواية الحارث ، وفي رواية ابن إسحاق : اثنا عشر ألف ملك هكذا لفظ الحديث .

[68] وذكر أنه عليه السلام لم يلقه ملك من الملائكة إلا ضاحكا مستبشراً إلا مالكا خازن جهنم ، وذلك أنه لم يضحك لأحد قبله ، ولا هو ضاحك لأحد، ومصداق هذا في كتاب الله تعالى، قال الله سبحانه : {عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ} [التحريم: 6] وهم موكلون بغضب اللّه تعالى، فالغضب لا يزايلهم أبداً، وفي هذا الحديث معارضة للحديث

الذي في وصفه ميكائيل أنه ما ضحك منذ خلق اللّه جهنم ، وكذلك يعارضه ما خرج الدارقطنى " أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم تبسم في الصلاة، فلما انصرف سئل عن ذلك ، فقال : رأيت ميكائيل راجعاً من طلب القوم ، على جناحيه الغبار فضحك إلىّ فتبسمت إليه "، وإذا صح الحديثان ، فوجه الجمع بينهما : أن يكون لم يضحك من خزنة النار إلى هذه المدة التي ضحك فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون الحديث عاماً يراد به الخصوص، أو يكون الحديث الأول حدَّث به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هذا الحديث الأخير ثم حدث بعد ما حَدث به من ضحكه إليه ، والله أعلم .

خيرا ويدعو به حتى لقينى ملك من الملائكة، فقال مثل ما قالوا، ودعا بمثل ما دعوا به ، إلا أنه لم يضحك ، ولم أر منه البشر مثل ما رأيت من غيره ، فقلت لجبريل : يا جبريل من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك ، ولم أر منه من البشر مثل الذي رأيت من غيره ؟ قال : فقال لي جبريل : أما إنه لو ضحك إلى أحد كان قبلك ، أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك ، لضحك إليك ، ولكنه لا يضحك ، هذا مالك صاحب النار.

من صفات جهنم أعاذنا اللهّ منهما: فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : فقلت لجبريل ، وهو من اللّه تعالى بالمكان الذي وُصف لكم **{** مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**}**:[التكوير: 31] ألا تأمره أن يرينى النار؟ فقال : بلى، يا مالكُ ، أرِ محمداً النار. قال : فكشف عنها غطاءها، فقال : ففارت وارتفعت ، حتى ظننت لتأخذن ما أرى . قال : فقلت لجبريل يا جبريل ، مره فليردها إلى مكانها. قال : فأمره ، فقال لها: اخْبِى، فرجعتْ إلى مكانها الذي خرجت منه . فم ا شبهت رجوعها إلا وقوع الظل . حتى إذا دَخلت من حيث خرجت رَد عليها غطاءَها.

عرض الأرواح على آدم عليه السلام : قال أبو سعيد الخدري في حديثه : إن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال : لما دخلت السماء الدنيا، رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بني آدم ، فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيراً ويُسَر به ، ويقول : روح طيبة خرجت من جسد طيب ويقول لبعضها إذا عُرضت عليه : أفّ ، ويعبس بوجهه ويقول : روح

خبيثة خرجت من جسد خبيث . قال : قلت من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم ، تُعرض عليه أرواح ذريته ، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها وقال : روح طيبة خرجت من جسد طيب . وإذا مرت به روح الكافر منهم أنف منها وكرهها، وساءه ذلك ، وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث .

أكلة أموال اليتامى ظلما: قال : ثم رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الإبل ، في أيديهم قطع من نار كالأفهار[69]، يقذفونها في أفواههم ، فتخرج من أدبارهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما.

أكلة الربا: قال : ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون[70] ، يمرون عليهم كالإبل المهيومة[71] حين يُعرضون على النار، يطئونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا.

الزناة من بني آدم : قال : ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم سمين طيب ، إلى جنبه لحم غث منتن ، يأكلون من الغث المنتن ، ويتركون السمين الطيب . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحل اللّه لهم من النساء، ويذهبون إلى ما حرم اللّه عليهم منهن .

---

[69] الأفهار: جمع فهر وهو الحجر.

[70] وذلك أن آل فرعون أشد الناس عذابا يوم القيامة . يقول اللّه سبحانه وتعالى : **{** أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**}**.[غافر: 46]

[71] المهيومة : العطاش . والهيام : شدة العطش .

من نسبت ابنا لزوجها من غيره : قال : ثم رأيت نساء معلقات بثديهن ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني جعفر بن عمرو، عن القاسم بن محمد أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، قال : " اشتد غضب اللّه على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم ، فأكل حرائبهم[72] ، وطلع على عوراتهم "

. صعوده صلى الله عليه وسلم إلى السموات الأخر وما رأى منها : ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخدري ، قال : ثم أصعدنى إلى السماء الثانية، فإذا فيها ابنا الخالة : عيسى ابن مريم ، ويحيى بن زكريا، قال : ثم أصعدنى إلى السماء الثالثة، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر؛ قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف ابن يعقوب . قال : ثم أصعدنى إلى السماء الرابعة، فإذا فيها رجل فسألته :

---

[72] الحرائب : الأموال . وهو من الحرب ، وهو السلب ، يريد أن الولد إذا كان لغير أبيه نسب إلى الذي ولد على فراشه ، فيأكل من ماله صغيرا، وينظر إلى بناته من غير أمه وإلى أخواته ، ولسن بعمات له ، وإلى أمه وليست بجدة له ، وهذا فساد كبير، وإنما قدم ذكر الأكل من ماله ، قبل الاطلاع على عوراته . . وإن كان الاطلاع على العورات أشنع ، لأن نفقته عليه أول حال صغره ، ثم قد يبلغ حد الاطلاع على عوراته ، أو لا يبلغ ، فإن الأم أرضعته بلبانها، ولم تدفعه إلى مرضعة كان الزوج أباً له من الرضاعة، وكان حكمه حكم الابن من الرضاعة، وفي ذلك نقصان من الشناعة، فإن بلغ الصبي ، وتابت الأم ، وأعلمته أنه لغير أبيه ليستعف عن ميراثهم ، ويكف عن الاطلاع على عوراتهم ، أو علم ذلك بقرينة حال وجب عليه ذلك وإن كان شر الثلاثة كما جاء في الحديث في ابن الزنا، وقد تؤول حديث شر الثلاثة على وجوه ، هذا أقربها إلى الصواب ، لقوله عليه السلام : أكل حرائبهم ، واطلع على عوراتهم ، ومن فعل هذا عن عمد وقصد فهو شر الناس . وإن لم يعلم فأكله واطلاعه شر عمل ، وأبواه حين زنيا فارقا ذلك العمل الخبيث لحينهما والابن في عمل خبيث، من منشئه إلى وفاته ، فعمله شر عمل . فهو إذا علم أكثر شراً من الزاني والزانية .

من هو؟ قال : هذا إدريس – قال : يقول رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : " ورفعناه مكانا عليا "[73] – قال : ثم أصعدنى إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية، عظيم العثنون[74] ، لم أر كهلا أجمل – منه ، قالت قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا المحبَّب في قومه هارون ابن عمران . قال : ثم أصعدني إلى السماء السادسة، فإذا فيها رجل آدم[75] طويل أقنى[76]، كأنه من رجال شنوءة ؛ فقلت له : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى بن عمران . ثم أصعدني إلى السماء السابعة، فإذا فيها كهل جالس على كرسي إلى باب البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة . لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ؛ قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم . قال : ثم دخل بي الجنة، فرأيت فيها جارية لعساء[77] فسألتها: لمن أنت ؟ وقد أعجبتني حين رأيتها؛ فقالت : لزيد بن حارثة، فبشَّر بها رسول اللّه صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة .

---

[73] ورفعناه مكاناً علياً، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم في مكان أعلى من مكان إدريس ، فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الأحبار أن إدريس خص من جميع الأنبياء أن رفع قبل وفاته إلى السماء الرابعة، ورفعه ملك كان صديقا له ، وهو الملك الموكل بالشمس فيما ذكر، وكان إدريس سأله أن يريه الجنة، فأذن له اللّه في ذلك ، فلما كان في السماء الرابعة رآه هنالك ملك الموت ، فعجب ، وقال أمرت أن قبض روح إدريس الساعة في السماء الرابعة، فقبضه هنالك، فرفعه حياً إلى ذلك المكان العلي خاص له دون الأنبياء.

[74] عظيم اللحية.

[75] الآدم : الأسود .

[76] الأقنى : المرتفع قصبة الأنف .

[77] اللعساء: من لها حمرة في شفتيها تضرب إلى السواد.

فرض الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسـحاق : ومن حديث ابن مسعود رضى اللّـه عنـه ، عـن النـبى صـلى اللـه عليـه وسلم ، فيما بلغني: أن جبريل لم يصعد به إلى سـماء مـن السـموات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها: من هـذا يـا جبريـل ؟ فيقـول : محمـد؛ فيقولون : أوَقَدْ بعث إليه ؟ فيقول : نعم ؛ فيقولـون : حيَّـاه اللّـه مـن أخ وصاحب ، حتى انتهى به إلى السـماء السـابعة، ثـم انتهـى بـه إلـى ربـه ، ففرض عليه خمسين صلاة في كل يوم .

موسى بن عمـران عليـه السـلام يطلـب منـه عليـه الصـلاة والسلام سؤال ربه التخفيف عن أمته في أمـر الصـلاة : قـال رسول اللّه صلى الله عليـه وسـلم: فـأقبلت راجعـا، فلمـا مـررت بموسى بن عمران ، ونعم الصاحب كان لكم ، سألنى: كـم فُـرض عليـك من الصلاة؟ فقلت : خمسين صلاة كـل يـوم ؛ فقـال : إن الصـلاة ثقيلـة، وإن أمتك ضعيفة، فارجع إلى ربك ، فاسأله أن يخفف عنك وعـن أمتـك . فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتى، فوضع عنى عشـرا. ثـم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك ؛ فرجعت فسألت ربـي أن يخفف عني وعن أمتى، فوضع عنى عشراً. ثم انصرفت فمررت على موسى، فقال لي مثل ذلك ؟ فرجعت فسألت ربـى فوضـع عنـي عشـراً. ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك ، كلما رجعت إليه ، قـال : فـارجع ، فاسـأل ربك حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عنى، إلا خمس صلوات فـي كـل يـوم وليلة . ثم رجعت إلى موسى، فقال لي مثل ذلـك ، فقلـت : قـد راجعـت ربي وسألته ، حتى استحييت منه ، فما أنا بفاعل .

فمن أداهن منكم إيمانا بهن ، واحتسـابا لهـن ، كـان لـه أجـر خمسـين صلاة .

المستهزئون بالرسول وكفاية اللّه أمرهم

قال ابن إسحاق : فأقام رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على أمر اللّه تعالى صابرا محتسبا، مؤديا إلى قومه النصيحة على ما يلقى منهم من التكذيب والأذى وكان عظماء المستهزئين[78] ، كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير، خمسة نفر من قومهم ، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم .

أسماء المستهزئين : من بنى أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَى بن كلاب : الأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة، وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه ، فقال : اللهم أعم بصره ، وأثكله ولده .

ومن بنى زهرة بن كلاب : الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة.

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : العاص بن وائل ابن هشام .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم .

---

[78] روي أنه لما أنزل الله تعالى : **{ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ }** نزل جبريل عليه السلام فحنا ظهر الأسود، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: خالى خالى، فقال له جبريل : خل عنك ،

ثم حنا، حتى قتله ، ذكره الدارقطنى .

ومن بنى خزاعة : الحارث ابن الطلاطلة[79] بن عمرو بن الحارث ابـن عبد عمرو بن ملكان .

فلما تمادوا في الشر، وأكـثروا برسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم الاسـتهزاء، أنـزل اللّـه تعـالى عليـه :{ فَاصْـدَعْ بِمَـا تُـؤْمَرُ وَأَعْـرِضْ عَـنْ الْمُشْرِكِينَ(94)إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ(95)الَّذِينَ يَجْعَلُـونَ مَـعَ اللَّـهِ إِلَهًـا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}.[الحجر: 94ـ96]

ما فعل اللّه بالمستهزئين : قال ابن إسـحاق : فحـدثني يزيـد بن رومان ، عن عـروة بـن الزبيـر، أو غيـره مـن العلمـاء أن جبريـل أتـى رسول اللّه صلى الله عليـه وسـلم، وهـم يطوفـون بـالبيت ، فقـام وقـام رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فمر به الأسود بن المطلب ، فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمى . ومر به الأسـود بـن عبـد يغـوث ، فأشار إلى بطنه ، فاستسقى بطنه فمات منه حَبْنا[80]. ومـر بـه الوليـد بـن المغيرة، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله ، كـان أصـابه قبـل ذلـك بسنين ، وهو يجر سبله[81] ، وذلك أنه مر برجل من خزاعة وهـو يريـش نَبلا له ، فتعلق سهم من نبله بإزاره ، فخدش في رجله ذلك الخدش ، وليـس بشىء، فانتقض به فقتله . ومر به العاص بن وائـل ، فأشـار إلـى أخمـص رجله وخرج على حمـار لـه يريـد الطـائف ، فربـض بـه علـى شـبارقة[82]، فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته. ومر به الحـارث ابـن الطلاطلـة، فأشار إلى رأسه فامتخض قيحا،فقتله .

---

[79] الحارث ابن الطلاطلـة، والطلاطلـة : أمـه ، قـاله أبـو الوليـد الوقشـي والطلاطلة في اللغة :الداهية، قال أبو عبيد: كل داء عضال فهو: طلاطلة .

[80] الحبن : انتفاخ من داء.

[81] فضول ثيابه .

[82] شجرة عالية .

قصة أبي أزيهر الدوسي

وصية الوليد أولاده : قال ابـن إسـحاق : فلمـا حضـرت الوليـد الوفاة دعا بنيه وكانوا ثلاثة : هشام بن الوليد، والوليـد بـن الوليـد، وخالـد ابن الوليد، فقال لهم : أي بنى، أوصيكم بثلاث ، فلا تضيعوا فيهـن : دمـي في خزاعة فلا تطلنَّه[83] ، واللّه إني لأعلم أنهم منه براء، ولكنى أخشـى أن تُسَبُّوا به بعد اليوم ، ورباي في ثقيف ، فلا تدعوه حتى تأخـذوه ، وعقـري عند أبي أزيهـر[84]، فلا يفـوتنكم بـه . وكـان أبـو أزيهـر قـد زوجـه بنتـا، ثـم أمسكها عنه ، فلم يدخلها عليه حتى مات . **عقل الوليد عند خزاعــة :** فلما هلك الوليد بن المغيرة وثب بنو مخزوم على خزاعـة يطلبـون منهـم عقل الوليد، وقالوا: إنما قتله سهم صاحبكم - وكان لبنى كعب حلف مـن بني عبد المطلب ابن هاشم - فـأبت عليهـم خزاعـة ذلـك ، حـتى تقـاولوا أشعاراً، وغلظ بينهم الأمر - وكان الذي أصاب الوليد سهمه رجلا من بنـي كعب ابن عمرو من خزاعة - فقال عبد الله بن أبي أمية بـن المغيـرة بـن عبد الله بن عمر بن مخزوم :

ما قيل من الأشعار في مقتل الوليد:

إني زعيم أن تسيروا فتهربوا وأن تتركوا الظهرَان تعوي ثعالبُهْ[85]

وأن تتركوا ماءً بجزعة أطرقا وأن تسألوا أي الأراك أطايبه ؟[86]

---

[83] لا تهدرنه .

[84] وأصل عقري : من العقر. والعقر: دبة الفرج المغصوب ، وأصله فـي الفتاة البكر من أجل التدمية، ومنه عقـر السـرج الفـرس : إذا أدمـاه ، وقيـل : عقر بضم العين ، لأنه بمعنى بضع .

[85] الزعيم : الضامن . والظهران : واد قريب من مكة .

[86] الجزاعـة : والجـزع بمعنـى واحـد، وهـو معظـم الـوادي ، وقـال ابـن الأعرابي : هو ما انثنى منه ، وأطرقا: اسـم علـم لموضـع سـمي بفعـل الأمـر للاثنين ، فهو محكي لا يعرب ، وقيل أن أصل تسميته بذلك أن ثلاثـة نفـر مـروا بها خائفين ، فسمع أحدهم صـوتا، فقـال لصـاحبيه : أطرقـا، أي : أنصـتا، حـتى نرى ما هذا الصوت ، فسمى المكان بأطرقا، واللّه أعلم.

فإنا أناس لا تُطَلُّ دماؤنا ولا يتعالى صاعداً من نحاربه[87]

وكانت الظهران والأراك منازل بنى كعب ، من خزاعة. فأجابه الجون ابن أبي الجون ، أخو بني كعب بن عمرو الخزاعي ، فقال :

واللّه لا نُؤتَى الوليد ظُلامةً ولما تروا يوما تزول كواكبه
ويُصرع منكم مُسمن بعد مسمن وتُفتح بعد الموت قسراً مشاربه[88]
إذا ما أكلتم خبزكم وخزيركم فكلكم باكى الوليد ونادبه[89]

ثم إن الناس ترادوا وعرفوا إنما يخشى القوم السَّبة فأعطتهم خزاعة بعض العقل وانصرفوا عن بعض . فلما اصطلح القوم قال الجون بن أبي الجون :

وقائلةٍ لما اصطلحنا تعجبا لما قد حملنا للوليد وقائل
ألم تُقسموا تؤتوا الوليد ظلامة ولما تروا يوما كثير البلابل[90]
فنحن خلطنا الحرب بالسلم فاستوت فأمَّ هواه آمنا كل راحل

ثم لم ينته الجون بن أبي الجون حتى افتخر بقتل الوليد، وذكر أنهم أصابوه ، وكان ذلك باطلا. فلحق بالوليد وبولده وقومه من ذلك

---

87 تطل : تهدر.

88 المسمن : الشريف الظاهر بين الناس .

89 الخزير: نوع من الحساء.

90 تؤتوا: أراد: أن تؤتوا، ومعناه : أن لا تؤتوا كما جاء في التنزيل :{ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا} [النساء: 76] في قول طائفة، ومعناه : كره لكم أن تضلوا، وإذا كان الكلام محمولا على معناها فالنصب جائز، والرفع جائز أيضا. والبلابل : الوساوس الفكرية .

ما حذر، فقال الجون بن أبي الجون :

ألا زعم المغيرة أن كعبا بمكة منهم قدر كبير
فلا تفخر مغير أن تراها بهـا يمشـي المعلهـج والمهيـر
بها آباؤنا وبها وُلدنـا كما أرسي بمثبته ثبير[92]
وما قال المغيـرةُ ذاك إلا ليعلمَ شأنَنا أو يستشير
فإن دمَ الوليد يُطَلُّ إنـا نطل دماء أنت بها خبير
كساه الفاتك الميمون سهما زعافـا وهْـو ممتلـئ بهيـر[93]
فخر ببطن مكة مُسلحبا كأنه عند وجبته بعير
سيكفينى مطال أبي هشام صغار جعدة الأوتار خور

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحدا أقذع فيه .

قتل أبي أزيهر: قال ابن إسحاق : ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر، وهو بسوق ذي المجاز وكانت عند أبي سفيان بن حرب عاتكة؛ بنت أبي أزيهر، وكان أبو أزيهر رجلا شريفا في قومه – فقتله بعقر الوليد الذي كان عنده ، لوصية أبيه إياه ، وذلك بعد أن هاجر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر، وأصيب به من أصيب من أشراف قريش من المشركين ، فخرج يزيد بن أبي سفيان ، فجمع بنى عبد مناف ، وأبو سفيان بذي المجاز، فقال الناس : أخفر أبو سفيان في صهره ، فهو ثائر به . فلما سمع أبو سفيان بالذي صنع ابنه يزيد – وكان أبو سفيان رجلا حليما منكراً يحب قومه حبا

---

[91] المعلهج : المتردد في الإماء كأنه منحوت من أصلين : من العلج لأن الأمة : عالجة، ومن اللهج ، كأن واطئ الأمة قد لهج بها، فنحت لفظ المعلهج من هذين اللفظين

- والمهير: ابن المهيرة الحرة .

[92] ثبير: جبل بمكة.

[93] البهير: منقطع النفس .

شديداً - انحط سريعاً إلى مكة، وخشى أن يكون بين قريش حدث في أبي أزيهر، فأتى ابنه وهو في الحديد، في قومه من بني عبد مناف والمطيبين ، فأخذ الرمح من يده ، ثم ضرب به على رأسه ضربة هدَّه منها، ثم قال له : قبحك اللّه ! أتريد أن تضرب قريشاً بعضَهم ببعض في رجل من دَوْس . سنؤتيهم العَقْل إن قبلوه ، وأطفئ لك الأمرَ. فانبعث حسانُ بن ثابت يحرض في دم أبي أزَيْهر، ويعير أبا سفيان خُفْرَته ويُجْبِنه ، فقال :

غدا أهلُ ضَوْجَيْ ذى المجاز كليهما وجار ابنِ حربٍ بالمغمَّس ما يغدُو[94]

ولم يمنع العيرُ الضَّروطُ ذمارَه وما منعت مخزاةَ والدِها هندُ[95]

كساك هشام بنُ الوليد ثيابَه فأبْلِ وأخْلِفْ مثلَها جدداً بَعْدُ

قضى وطراً منه فأصبح ماجداً وأصبحتَ رخواً ما تُخبُّ وما تعدُو[96]

فلو أن أشياخاً ببدرٍ تشاهدوا لَبَلَّ نعالَ القومِ مُعْتَبِطٌ وَرْدُ[97]

فلما بلغ أبا سفيان قول حسان قال : يريد حسان أن يضرب بعضنا ببعض في رجل من دوس ، بئس واللّه ما ظن .

ولما أسلم أهلُ الطائف كلَّم رسولَ اللّه صلى الله عليه وسلم خالدُ بنُ الوليد في ربا الوليد، الذي كان في ثقيف ، لما كان أبوه أوصاه به .

---

94 ضوجى : ما انعطف من الوادي ، وذو المجاز: سوق عند عرفة كانت العرب إذا حجت أقامت بسوق عكاظ شهر شوال ، ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوما من ذي القعدة، ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج ، وكانوا يتفاخرون في سوق عكاظ شهر شوال إذا اجتمعوا، ويقال : عكظ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه بالمفاخرة، فسميت عكاظ لذلك . والمغمس : موضع بطريق الطائف .

95 الذمار: ما تجب رعايته . وهند: بنت أبي سفيان .

96 الخبب : ضرب من السير.

97 المعتبط الورد: الدم العبيط وهو الطري .

خالد يطالب بتنفيذ وصية أبيه وما نزل في ذلك من القـرآن

: قال ابن إسحاق : فذكر لي بعضُ أهـلِ العلـم أن هـؤلاء الآيـات مـن تحريم ما بقي من الربا بأيدي الناس نزلن في ذلك من طلب خالـد الربـا: **{** يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَـا إِنْ كُنتُـمْ مُـؤْمِنِينَ **}** [البقرة: 278] إلى آخر القصة فيها.

دوس تحاول الثأر لأبي أزيهر: ولم يكن في أبي أزيهر ثأر نعلمـه ، حـتى حجـز الإسـلام بيـن النـاس إلا أن ضـرار بـن الخطـاب بـن مِـرْداس الفِهْري خرج في نفر من قريش إلى أرض دَوْس، فنزلوا على امرأة يقال لها أمُّ غَيْلان ،- مولاة لدوس ، وكانت تمشِّـط النسـاء، وتجهِّـز العرائـس ، فأرادت دوس قتلهم بأبي أزيهـر، فقـامت دونهـم أمُّ غيلان ونسـوة معهـا، حتى منعتهم ، فقال ضرار بن الخطاب في ذلك :

جزى اللّهُ عنا أمَّ غَيْلان صالحاً ونسوَتها إذ هن شُـعْثٌ عواطـلُ فهـن
دفعـــن المـــوتَ بعـــدَ اقـــترابِه وقـــد بـــرزتْ للثـــائرين المقاتـــلُ
دعت دعوةً دوساً فسالت شـعابُها[98] بعـز وأدَّتهـا الشَّـراجُ القوابـلُ[99]
وعَمراً جـزاه اللّـهُ خيـراً فمـا وَنَـى ومـا بـردتْ منه لـديَّ المفاصـلُ فجـــرّدت
سـيفى ثـم قمـتُ بنصلِـــــــه وعـن أيِّ نفـسٍ بعـدَ نفسـى أقاتـلُ

قال ابن هشـام : حـدثني أبـو عبيـدة: أن الـتي قـامت دون ضـرار أمّ جميل ، ويقـال أم غيلان؛ قـال : ويجـوز أن تكـون أم غيلان قـامت مـع أم جميل فيمن قام دونه .

فلما قام عمر بن الخطاب أتته أم جميل ، وهي ترى أنـه أخـوه . فلمـا انتسبت له عرف القصة فقال : إني لست بأخيه إلا في الإسلام ،

---

[98] الشعاب : جمع شعب وهو مسيل الماء في الحرة .

[99] الشراج : جمع شرج : مسيل الماء. والقوابل : المتقابلة .

وهو غازٍ ، وقد عرفت منَتّكَ عليه ، فأعطاها على أنها ابنة سبيل .
قال الراوي : قال ابن هشام : وكان ضِرار لحق عمر بن الخطاب يوم أحد، فجعل يضربه بعَرض الرمح ويقول : انج يا ابن الخطاب لا أقتلك؛ فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه .

وفاة أبي طالب وخديجة ، وما عاناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدهما

من كان يؤذي الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في بيته : أبا لهب ، والحَكم بن العاص ابن أمية، وعُقْبة بن أبي مُعَيْط ، وعَدِي بن حمراء الثقفى، وابن الأصْداء الهذلى؛ وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص ، فكان أحدهم – فيما ذكر لي – يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رحِم الشاة وهو يصلى، وكان أحدهم يطرحها في بُرْمته[100] إذا نُصبت له ، حتى اتخذ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حِجْراً[101] يستتر به منهم إذا صلى الله عليه وسلم، فكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إذا طرحوا عليه ذلك الأذى – كما حدثني عُمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير، عن عروةبن الزبير – يخرج به رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على العود، فيقف به على بابه ، ثم يقول : يا بني عبد مناف ، أي جوار هذا! ثم يلقيه في الطريق .
قال ابن إسحاق : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا

---

[100] البرمة: القدر من الحجر.

[101] الحجر: كل ما حجرته من حائط ونحوه.

في عام واحد، فتتابعت على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم المصائب بهُلْك خديجة، وكانت له وزير صِدْق على الإسلام ، يشكو إليها؛ وبُهلْك عمه أبي طالب ، وكان له عَضَداً وحِرْزاً في أمره ، ومَنَعة وناصراً على قومه ، وذلك قبل مُهاجره إلى المدينة بثلاث سنين . فلما هلك أبو طالب ، نالت قريش من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيهٌ من سفهاء قريش، فنثر على رأسه تراباً .

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، قال :

لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول صلى الله عليه وسلم ذلك التراب ، دخل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته ، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول لها: لا تبكى يا بنية، فإن اللّه مانع أباك . قال : ويقول بين ذلك : ما نالت منى قريش شيئاً أكرهه ، حتى مات أبو طالب .

المشركون يطلبون عهداً بينهم وبين الرسول قبل موت أبي طالب : قال ابن إسحاق : ولما اشتكى أبو طالب ، وبلغ قريشاً ثِقَلُه ، قالت قريش بعضُها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلِّها، فانطلِقوا بنا إلى أبي طالب ، فيأخذ لنا على ابن أخيه ، وليعطِه مِنَّا، واللّه ما نأمَن أن يبتزُّونا[102] أمرَنا .

قال ابن إسحاق : فحدثني العباس بني عبد الله بن مَعْبد بن عباس

[102] ابتزه أمره : غلبه عليه .

عن بعض أهلـه ، عـن ابـن عبـاس ، قـال : مشـوا إلـى أبـي طـالب فكلموه؛ وهم أشرافُ قومه : عُتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو جهـل بن هشام ، وأميـة بـن خلـف ، وأبـو سـفيان بـن حـرب ، فـي رجـال مـن أشرافهم فقالوا: يا أبا طالب ، إنك منا حيث قد علمتَ ، وقـد حضـرك مـا ترى، وتخوَّفْنا عليك ، وقد علمتَ الذي بيننا وبين ابن أخيـك ، فـادْعه فخـذ له منا، وخذ لنا منه ، ليكفَّ عنا، ونكفَّ عنه ، وليدعَنا ودينَنَا، وندَعه ودينَـه؛ فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه ، فقال : يا ابن أخي ، هؤلاء أشرافُ قومك ، قد اجتمعوا لك ، ليعطوك ، وليأخذوا منك . قال : فقال رسول اللّه صـلى الله عليه وسلم : نعم ، كلمة واحدة تُعطونيها تملكون بها العرب ، وتـدين لكم بها العجم . قال : فقال أبو جهل : نعم وأبيكَ ، وعشر كلمات؛ قـال : تقولون : لا إله إلا اللّه ، وتخلعـون مـا تعبـدون مـن دونـه قال : فصـفقوا بأيديهم ، ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعـل الآلهـةَ إلهـاً واحـداً، إن أمـرَك لعَجب ! قال بعضهم لبعض : إنه واللّه ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً ممـا تريدون ، فانطلِقُوا وامضُوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم وبينـه . قال : ثم تفرقوا.

رجاء الرسول إسلام أبي طالب : فقال أبو طـالب لرسـول الله صلى الله عليه وسلم : واللّـه يـا ابـن أخـي، مـا رأيتـك سـألتهم شططاً، قال : فلما قالها أبو طـالب طمـع رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسلم في إسلامه ، فجعل يقول له : أي عمّ ، فأنت فقُلْها أستحلّ لك بهـا الشفاعة يومَ القيامة قال : فلما رأى حِرص رسول اللّه صـلى اللـه عليـه وسلم عليه ، قال : يا ابن أخى، واللّه لولا مخافة السُّبَّة عليك وعلـى بنـي أبيك من بعدي ، وأن تظن قريش أني إنما قلتها جَزعاً من الموت لقلتهـا، لا أقولها إلا لأسرّك بها. قال : فلما تقارب من أبـي طـالب المـوت قـال : نظر العباس إليه يحرك شفتيه ، قال : فأصغى إليه بأذنِه ، قال : فقال يـا ابن أخى ، واللّه لقد قال أخي

الكلمة التي أمرته أن يقولها، قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أسمعْ[103].

ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبـي طـالب .

قال : وأنزل اللّه تعالى في الرهط الذين كانوا قد اجتمعـوا إليـه ، وقـال لهم ما قال ، وردوا عليه ما ردوا : **{** وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ(1)بَلْ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِـقَاقٍ**}**.[ص: 1،2] إلـى قـولهتعـالى : **{**أَجَعَـلَ الْآلِهَـةَ إِلَهًـا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ(5)وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا[104] وَاصْـبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ(6) مَا سَـمِعْنَا بِهَـذَا فِـي الْمِلَّـةِ الْآخِـرَةِ **}** [ص: 5ـ7] يعنون النصارى، لقـولهم :**{** إِنَّ اللَّـهَ ثَـالِثُ ثَلَاثَـةٍ**}** [المائـدة: 73] **{**إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ**}** ثم هلك أبو طالب .

سعى الرسول إلى الطائف وموقف ثقيف منه

قال ابن إسحاق : ولما هلك أبو طالب نـالت قريـش مـن رسـول اللّه صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تنال منـه فـي حيـاة عمـه أبي طالب ، فخرج رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم إلـى الطـائف ، يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلـوا منـه ما جاءهم به من اللّه عز وجل ، فخرج إليهم وحدَه .

---

[103] قال السهيلي : شهادة العباس لأبـى طـالب لـو أداهـا بعـد مـا أسـلم؛ لكانت مقبولة، ولكن العباس شـهد بـذلك قبـل أن يسـلم مـع أن الصـحيح مـن الأثر، قد أثبت لأبي طالب الوفاة على الكفر والشرك وأثبـت نـزول هـذه الآيـة فيه :**{** مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُـوا أَنْ يَسْـتَغْفِرُوا لِلْمُشْـرِكِينَ**}**.[التوبـة: 113] انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ 2 ص170-171.

[104] **{** أَنْ امْشُوا**}** الآية : ذكر بعض أهل التفسير أن قولهم : امشوا مـن المشاء، لا من المشي ، والمشاء: نماء المـال وزيـادته ، يقـال مشـى الرجـل؛ وأمشى : إذا نما ماله.

الثلاثة الذين نزل بهم رسول اللّه صلى اللـه عليـه وسـلم :

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظـي ، قال : لما انتهى رسول اللّه صلى الله عليه وسـلم إلـى الطـائف ، عَمَـد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ، وهـم إخـوة ثلاثـة: عبد يَالِيل بن عَمرو بن عُمَير، ومسعود بن عَمـرو بـن عُمَيـر، وحـبيب بـن عمرو بن عُمَير بن عوف ابن عُقدة بن غِيَرَة بن عَـوْف بـن ثقيـف ، وعنـد أحدهم امرأة من قريش من بني جُمَح ، فجلس إليهم رسـول اللّـه صـلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى اللّه ، وكلمهم بمـا جـاءهم لـه مـن نصـرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال لـه أحـدهم : هو يَمْرُط[105] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ، وقال الآخر: أما وجد اللّـه أحداً يرسله غيرك ! وقال الثالث : واللّه لا أكلمك أبدا، لئن كنـت رسـولاً من اللّه كما تقول ، لأنت أعظـم خطـراً مـن أن أرد عليـك الكلام ، ولئـن كنت تكذب على اللّه ، ما ينبغى لي أن أكلمك . فقـام رسـول اللّـه صـلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم –فيما ذكر لي -: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عنى، وكره رسول اللّه صـلى اللـه عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه ، فيُذْئرهم[106] ذلك عليه .

قال ابن هشام : قال عَبيد بن الأبْرص :

ولقد أتاني عن تميمٍ أنهم ذَئِروا لقَتْلى عامر وتعصبوا

فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدَهم ، يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجئوه إلى حائط[107] لعُتبة بن ربيعة وشَيْبة ابن ربيعة، وهما فيه ، ورجع عنه سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد

---

[105] يمرطه : ينزعه ويرمى به .

[106] يذئرهم : يثيرهم .

[107] الحائط : الحديقة .

إلى ظل حَبَلة[108] من عنب ، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقى من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم- فيما ذكر لي - المرأة التي من بني جُمَح ، فقال لها: ماذا لقينا من أحمائك ؟

شكواه صلى الله عليه وسلم إليه تعالى : فلما اطمأن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال – فيما ذكر لي -: "اللهم إليك أشكو ضَعْفَ قوتى، وقلة حيلتي ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى، إلى من تَكِلُنى؟ إلى بعيد يتجَهَّمني[109] ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلماتُ ، وصلح عليه أمرُ الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك ، أو يحل علىَّ سُخْطُك ، لك العُتْبَى حتى ترضَى، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك ".

قصته صلى الله عليه وسلم مع عداس : قال : فلما رآه ابنا ربيعة، عُتبة وشَيْبة،

وما لقى، تحركت له رحمهما[110]، فدعوَا غلاما لهما نصرانيا، يقال له عَدَّاس ، فقالا له : خذ قِطفا من هذا العنب ، فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه . ففعل عَدَّاس ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يديْ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ثم قال له : كُلْ ، فلما وضع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فيه يده ، قال : باسم اللّه ، ثم أكل ، فنظر عَدَّاس في وجهه ، ثم قال : واللّه إن هذا الكلام ما يقوله أهلُ هذه البلاد، فقال له رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أي البلاد أنت يا عَدَّاس ، وما دينُك ؟ قال : نصرانى، وأنا رجل من أهل نِينَوى؛ فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس بن مَتَّى؛ فقال له عَدَّاس :

---

[108] حبلة: شجرة العنب .

[109] تجهم فلاناً: أي استقبله بوجه كريه .

[110] الرحم : الصلة والقرابة.

وما يُدريك ما يونس بـن مَتَّـى؟ فقـال رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسلم : ذاك أخى، كان نبيا وأنا نبي ، فأكب عَدَّاس على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه و قدميه[111] .

قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامُك فقد أفسده عليـك . فلما جاءهما عَداس قالا له : ويلك يـا عَـدَّاس ! مـا لـك تقبـل رأس هـذا- الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدي ، ما في الأرض شىء خير من هذا، لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه إلا نبى؛ قالا له : ويحك يا عـداس ، لا يصـرفنك عن دينك ، فإن دينَك خير من دينه .

وفد جن نصيبين[112] : قال : ثـم إن رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسلم انصرف من الطائف راجعا إلى مكة، حين يئـس مـن خيـر ثقيـف ، حتى إذا كان بنَخْلة[113] قام من جوف الليل يصلى، فمر- به النفر من الجـن الذين ذكرهم اللّه تبارك وتعالى، وهم - فيما ذُكر لي - سبعة نفر من جـن أهل نصيبين فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته وَلَّوْا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقص اللّه خبرهم عليه صـلى اللـه عليـه وسلم، قال اللّه عز وجل :**{** وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْـكَ نَفَـرًا مِـنْ الْجِـنِّ يَسْـتَمِعُونَ الْقُرْآنَ**}**.[الأحقاف: 29] . إلى قوله تعالى: **{**وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**}**. [الأحقاف: 31] وقال تبارك وتعالى:**{** قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَـرٌ مِـنْ الْجِنِّ**}**.[الجن: 1] . إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة .

---

[111] في قصة عداس غلام بني ربيعة من فقه السنة قبول هدية المشرك ، وأن لا يتورع عن طعامه ، وفيه تعجب عداس لمعرفـة النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم أخبار يونس بن مَتَى وهو أمي وفي أمة أمية.

[112] نصيبين : هي مدينة بالشام أثنى عليها رسول الله صـلى اللـه عليـه وسلم روي أنه قال : رُفعت إلى نصـيبين حـتى رأيتهـا فـدعوت اللّـه أن يعـذب نهرهـا، وينضـر شـجرها، ويطيـب ثمرهـا أو قـال : ويكـثر ثمرهـا، وروي فـي أسمائهم ما ذكره ابن دريد قال : هم منشي وماشي وصاصر وماصر والأحقـب .

[113] هناك واديان بهذا الاسم على ليلة من مكة أحدهما نخلة الشامية والثاني نخلة اليمانية.

عرض وسول اللّه صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل

عرض نفسه في المواسم : قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مكة : وقومه أشدُّ ما كانوا عليه من خلافِه وفراق دينه ، إلا قليلاً مستضعَفين ممن آمن به . فكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يَعْرِض نفسَه في المواسم ، إذا كانت ، على قبائل العرب يدعوهم إلى اللّه ، ويخبرهم أنه نبي مُرْسَل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبينَ لهم ما بعثه به اللّه .

قال ابن إسحاق : فحدثني من أصحابنا، من لا أتهم ، عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عِبَاد الدِّيَلى، أو من حدثه أبو الزناد عنه - **قال ابن هشام :** ربيعة بن عِبَاد.

أبو لهب يفرق الناس من حوله صلى الله عليه وسلم: قال ابن إسحاق : وحدثني حُسين بن عبد الله بن عُبيداللّه بن عباس ، قال سمعت ربيعة ابن عِبَاد، يحدثه أبي، قال : إني لغلام شاب مع أبي بمنى، ورسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بنى فلان ، إني رسول اللّه إليكم ، يأمركم أن تعبدوا اللّه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي ، وتصدقوا بي ، وتمنعونى، حتى أبين عن اللّه ما بعثنى به . قال : وخلفه رجل أحول وضيء ، له غديرتان[114] عليه حلة عدنية . فإذا فرغ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يا بنى فلان ، إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقَيْش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه ، ولا تسمعوا منه .

---

[114] الغديرتان : ذؤابتان من شعر.

قال : فقلت لأبي : يا أبت ، من هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقــول ؟ قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب ، أبو لهب .

قال ابن هشام : قال النابغة:

كأنك من جمال بني أُقَيْشٍ يُقَعْقِعُ خلفَ رِجْليه بِشَـــن[115]

عرضه صلى الله عليه وسلم نفسه على كندة: قال ابن إسحاق : حدثنا ابن شهاب الزهرى: أنه أتى كِنْدة[116] في منازلهم ، وفيهم سيد لهم يقال : مُلَيْح ، فدعاهم إلى اللّه عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فأبَوْا عليه .

عرضه صلى الله عليه وسلم نفسه على كلب : قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حُصين : أنه أتى كلبا في منازلهم ، إلى في منهم يقال لهم : بنو عبد الله ، فدعاهم إلى اللّه وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه ليقول لهم : يا بني عبد الله ، إن اللّه عز وجل قد أحسن اسمَ أبيكم ، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم .

عرضه صلى الله عليه وسلم نفسه على بني حنيفة : قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك : أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أتى بنى حنيفة[117] في منازلهم ، فدعاهم إلى اللّه وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليهم ردا منهم .

---

[115] الشن : القربة الخلق . ويريد بالقعقعة حدوث الصوت لتفزع الإبل .

[116] كندة : هم بنو ثور بن مرة بن أدد بن زيد بن هميسع بن عمرو بن عريب بن زيد ابن كهلان بن سبأ على أحد الأقوال بين النسابين في كندة . وسمي كندة لأنه كند أباه ، أي عقه ، وسمي ابنه مرتعاً لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مرتعاً، فهم بنو مرتع بن ثور، وقيل إن ثوراً هو مرتع ، وكندة أبوه .

[117] واسم حنيفة : أثال بن لُجَيم ، ولجيم : تصغير اللجم ، وهي دويبة، وسمي حنيفة لحنف كان في رجليه ، وقيل : بل حنيفة أمهم ، وهى بنت كاهل بن أسد عرفوا بها، وهم أهل اليمامة، وأصحاب مسيلمة الكذاب .

عرضه صلى الله عليه وسلم نفسه على بني عامر: قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري أنه أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى اللّه عز وجل ، وعرض عليهم نفسَه ، فقال رجل منهم - يقال له : بَيْحَرة بن فراس .

قال ابن هشام : فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قُشَير بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة -: واللّه ، لو إني أخذت هذا الفتى من قريش ، لأكلت به العرب ، ثم قال : أرأيتَ إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك اللّه على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمر إلى اللّه يضعه حيث يشاء. قال : فقال له : أفَتُهدَف[118] نحورُنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك اللّه كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك؛ فأبوا عليه .

فلما صدر الناسُ رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم ، قد كانت أدركته السنُّ ، حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم ، فقالوا: جاءنا فتى من قريش ، ثم أحد بنى عبد المطلب ، يزعم أنه نبي ، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ، ونخرج به إلى بلادنا. قال : فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال : يا بنى عامر، هل لها من تَلافٍ ، هل لذُنَاباها من مَطْلب[119] ، والذي نفس فلان بيده ، ما تقوَّلها إسماعيلى قط[120] وإنها لحق ، فأين رأيكم كان عنكم .

---

[118] تهدف : تصير هدفا يرمى عليه - سهامهم –؛ والهدف : الغرض .

[119] هل لها من تلاف ، أي : تدارك ، وهو تفاعل من : تلافيتهم ، وهل لذناباها من مطلب : مثل ضرب لما فاته منها، وأصله : من ذنابى الطائر: إذا أفلت من الحبالة، فطلبت الأخذ بذناباه .

[120] ما تقولها إسماعيلى قط . أي : ما ادعى النبوة كاذبا أحد من بنى إسماعيل .

عرضه صلى الله عليه وسلم نفسه في المواسم : قال ابن إسحاق : فكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على ذلك مـن أمـره ، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى اللّه وإلى الإِسـلام ، ويَعْرض عليهم نفسه ، وما جاء به من اللّه من الهـدى والرحمـة، وهـو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب ، له اسم وشرف ، إلا تصدَّى له ، فدعا إلى اللّه ، وعرَض عليه ما عنده .

عرضه صلى الله عليه وسلم نفسه على سويد بـن صـامت : قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بـن عمـر بـن قتـادة الأنصـاري ، ثـم الظَّفري عن أشياخ من قومه قالوا:

قدم سُويد بن صامت ، أخو بنى عمرو بن عَوْف ، مكة حاجاً أو معتمراً، وكان سويد إنمـا يسـميه قـومه فيهـم : الكامـل ، لجلـده وشعره وشرفه ونسبه ، وهو الذي يقول :

ألا رُبَّ من تدعو صديقاً ولوترى مقالتَه بالغيب ساءك ما يَفْري[121]
مقالتُه كالشهدِ ما كان شاهــداً وبالغيبِ مأثورٌ على ثُغْرَةِ النحرِ[122]

يَسرك باديه وتحت أديمـــه نميمةُ غِش ٍّتبتري عَقَبَ الظهرِ[123]
تُبين لك العينان ما هو كاتـمٌ من الغلِّ والبغضاءِ بالنظرِ الشَّزْرِ
فرِشْنِى بخير طالَما قد بَرَيْتَنى وخيرُ الموالى من يَريشُ ولايَبْـــرِي[124]

وهو الذي يقول - ونافر رجلا من بنى سُلَيم ، ثم أحد بنى زِعْب ابـن مالـك على مائة ناقة، إلى كاهنة من كهان العرب ، فقضت له ،

---

[121] يفرى : يختلق .

[122] المأثور: من الأثر، وهو السيف الموشى .

[123] تبترى عقبه : تقطع ظهره .

[124] يريش : يقري ، ويبري : يضعف .

فانصرف عنها هو والسَّلَمى، ليس معهما غيرها، فلما فرقت بينهما الطريق ، قال : مالى يا أخا بني سُلَيم قال : أبعث إليك به ، قال : فمن لي بذلك إذا قُتِّني به ؟ قال : كلا، والذي نفس سُوَيد بيده ، لا تفارقنى حتى أوتَى بمالي ، فاتَّخذا فضرب به الأرض ، ثم أوثقه رباطا، ثم انطلق به إلى دار بني عَمرو بن عوف ، فلم يزل عنده حتى بعثت إليه سُلَيم بالذي له ، فقال في ذلك :

لا تحسبنِّي يابنَ زِغْبٍ بن مالك كمن كُنت تُرْدِي بالغيوبِ وتَخْتِلُ
تحولت قِرْنا إذ صُرِعْت بعزةٍ كذلك إن الحازمَ المتحوِّل
ضربتُ به إبْطَ الشمال فلم يزلْ على كلِّ حالٍ خدُّه هو أسفلُ

في أشعار كثيرة كان يقولها.

فتصدى له رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى اللّه وإلى الإسلام ، فقال له سُوَيد: فلعل الذي معك مثل الذي معي ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذي معك ؟ قال : مجلة لُقمان[125] – يعنى حكمة لقمان – فقال له رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : أعرضها علي ، فعرضها عليه ، فقال له : إن هذا لكلام حسن ، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله اللّه تعالى علىَّ، هو هُدى ونور، فتلا عليه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يَبْعُد منه ، وقال : إن هذا لقول حسن ،

---

[125] مجلة لقمان ، وهي الصحيفة، وكأنها مفعلة من الجلال والجلالة، أما الجلالة فمن صفة المخلوق ، والجلال من صفة اللّه تعالى، وقد أجاز بعضهم أن يقال في المخلوق جلال وجلالة وأنشد:

فلا ذا جلال هبته لجلالة ولا ذا ضياع هن يتركن للفقر

ولقمان كان نوبيا من أهل أيلة وهو لقمان بن عنقاء بن سرور فيما ذكروا وابنه الذي ذُكر في القرآن هو ثأران فيما ذكر الزجاج وغيره ، وقد قيل في اسمه غير ذلك ، وليس بلقمان بن عاد الحميري . وانظر " من قصص القرآن " لابن كثير -

من تحقيقنا.

ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتلته الخزرج ، فإذا كان رجال من قومه ليقولون : إنا لنراه قد قُتل وهو مسلم . وكان قتله قبل يوم بُعاث[126] .

إسلام إياس بن معاذ وقصة أبي الحيسر

قال ابن إسحاق : وحدثني الحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بنُ معاذ، عن محمود بن لبيد، قال : لما قدم أبو الحَيْسَر، أنس ابن رافع ، مكة ومعه فِتية من بني عبد الأشْهل ، فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحِلْف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم في خير مما جئتم له ؟ فقالوا له : وما ذاك ؟ قال : أنا رسول اللّه بعثنى إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوا اللّه ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل علىَّ الكتاب . قال : ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال : فقال إياس بن معاذ، وكان غلاما حدثا: أي قوم ، وهذا واللّه خيرٌ مما جئتم له . قال : فيأخذ أبو الحَيْسر، أنس بن رافع ، حفنة من تراب البطحاء، فضرب بها وجه إياس بن مُعاذ، وقال : دَعْنا منك فلَعَمْري لقد جئنا لغير هذا. قال : فصمت إياس ، وقام رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عنهم ، وانصرفوا إلى المدينة، وكان وقعة بُعاث بين الأَوس والخزرج .

قال : ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد: فأخبرنى من حضره من قومه عند موته : أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل

---

[126] بعاث : هي حرب بين الأَوس والخزرج ، ولهم فيها أيام مشهورة هلك فيها كثير من صناديدهم وأشرافهم ، وبعاث اسم أرض بها عرفت .

اللّه تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشـكون أن قد مات مسلما، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس، حين سـمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع .

إسلام الأنصار

اجتماعه صلى الله عليه وسلم بوفد من الخزرج عند العقبة

قال ابن إسحاق : فلما أراد اللّه عز وجل إظهار دينـه ، وإعـزاز نـبيه صلى الله عليه وسلم ، وإنجاز موعده له ، خـرج رسـول اللّـه صـلى اللـه عليه وسلم في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار[127] فعرض نفسـه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كل موسم . فبينما هو عنـد العقبـة لقى رهطا من الخزرج أراد اللّه بهم خيراً.

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قَتـادة، عـن أشـياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، قـال لهـم : من أنتم ؟ قالوا نفر من الخزرج ، قال : أمن موالى يهود[128]؟ قالوا: نعـم ؛ قال : أفلا

---

[127] ولم يكن الأنصار اسما لهم فـي الجاهليـة، حـتى سـماهم اللّـه بـه فـي الإسلام ، وهم : بنو الأوس والخزرج ، والخزرج : الريح الباردة وقـال بعضـهم : وهي الجنوب خاصة . والأوس : هي العطية أو العوض ، ومثل هذا إذا كان علماً لا يدخله الألف واللام

ألا ترى أن كل أَوس في العرب غيـر هـذا، فـإنه بغيـر ألـف ولام كـأوس بـن حارثة الطائى وغيره . وأبوهم حارثة بن ثعلبة وهو أيضاً: والد خزاعة على أحـد القولين ، وأمهم قيلة بنت كاهل بن عذرة قضاعية ويقال هي بنت جفنة واسمه غلبة بن عمرو

ابن عامر، وقيل : بنت سيع بن الهون بن خزيمة بـن مدركـة، قـاله الزبيـر بن أبي بكر في " كتاب أخبار المدينة ". والأنصار: جمع لأناصر على غير قيـاس في جمع فاعل ولكن على تقدير حذف مـن ناصـر، لأنهـا زائـدة، فالاسـم علـى تقدير حذفها: ثلاثي والثلاثي يجمع على أفعال .

[128] المولى يجمع : الحليف وابن العم والمعتِق والمعتَق .

تجلسون أكلمكم ؟ قالوا: بلَى، فجلسوا معه ، فدعاهم إلى اللّـه عـز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن قال : وكـان ممـا صـنع اللّه لهم به في الإسلام ، أن يهود كـانوا معهـم فـي بلادهـم ، وكـانوا أهـلَ كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قـد عزوهـم[129] ببلادهم . فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم : إن نبياً مبعوثٌ الآنَ ، قـد أظل زمانُه ، نتبعه فنقتلكم معه قتـلَ عـاد وإرَم . فلمـا كلـم رسـول اللّـه صلى الله عليه وسلم أولئك النفر، ودعاهم إلى اللّه ، قال بعضهم لبعـض : يا قوم ، تَعلّموا واللّه إنه للنبى الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقُنكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منـه مـا عـرض عليهـم مـن الإسلام ، وقالوا: إنا قد تركنا قومَنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشـر مـا بينهم ، فعسى أن يجمعهـم اللّـه بـك ، فسـنقدم عليهـم ، فنـدعوهم إلـى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم اللّه عليك فلا رجل أعز منك .

ثم انصرفوا عن رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم راجعيـن إلـى بلادهم ، وقد آمنوا وصدقوا .

أسماء من التقوا به صلى الله عليـه وسـلم مـن الخـزرج :

قال ابنإسحاق : وهم - فيما ذكر لي -: ستة نفـر مـن الخـزرج ، منهـم من بنى النجار - وهو تَيْم اللّه - ثم من بنى مالك بن النجار بـن ثعلبـة ابـن عَمرو بن الخزرج بن حارثـة بـن عمـرو بـن عـامر: أسـعد بـن زُرارة ابـن عُدَس بن عُبَيْد بن ثعلبة بن غَنْـم بـن مالـك بـن النجـار، وهـو أبـو أمامـة ؛ وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سَوَاد بـن مالـك بـن غُنْـم بـن مالـك بـن النجار، وهو ابن عفراء.

---

[129] عزوهم : غلبوهم .

قال ابن هشام : وعفراء بنت عُبَيْد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالـك بـن النجار .

قال ابن إسحاق : ومن بني زُرَيْـق بـن عـامر بـن زُرَيْـق بـن عبـد حارثة بن مالك بـن غضـب بـن جُشـم بـن الخـزرج : رافـع بـن مالـك بـن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيْق .

قال ابن هشام : ويقال عامر بن الأزرق .

قال ابن إسحاق : ومن بنى سَلِمة بن سعد بن على بن سـاردة بـن تزيد بن جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى سواد بن غَنْم بن كعب ابن سلمة : قُطْبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غَنْم بن سَواد.

قال ابن هشام : عمرو بن سواد، وليس لسواد ابن يقال له : غَنْم .

قال ابن إسحاق : ومن بني حرام بن كعب بن غَنْـم بـن كعـب بـن سَلمة : عقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام .

ومن بنى عُبَيد عبد الله بن رِئاب بن عدي بن النعمان بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة: جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعممان بن سنان بن عُبَيد .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكـروا لهـم رسـولَ اللّـه صـلى اللـه عليه وسلم، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم يبـق دار مـن دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بيعة العقبة الأولى

حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقُوه بالعقبة : قال : وهى العقبة الأولى، فبايعوا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على بيعة النساءِ[130]، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب .

رجال البيعة الأولى : منهم من بنى النجار، ثم من بني مالك بن النجار: أسعد بن زُرارة بن عُدَس بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، وهو أبو أمامة؛ وعوف ، ومعاذ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سَواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجار، وهما ابنا عفراء. ومن بنى زُرَيق بن عامر رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن

---

[130] وقد ذكر اللّه تعالى بيعة النساء في القرآن فقال :{ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا} [الممتحنة: 12] الآية، فأراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه علي القتال ، وكانت مبايعته للنساء أن يأخذ عليهن العهد والميثاق ، فإذا أقررن بألسنتهن قال : قد بايعتكن ، وما مسَّت يده يد امرأة في مبايعة كذلك قالت عائشة، وقد روي أنهن كن يأخذن بيده في البيعة من فوق ثوب ، وهو قول عامر والشعبي ، ذكره عن ه ابن س لام في تفسيره ، والأول أصح . وقيل في قوله عز وجل - في الآية السابقة - خبرا عن بيعة النساء. {وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ }أنه الولد تنسبه إلى بعلها، وليس منه ، وقيل : هو الاستمتاع بالمرأة فيما دون الوطء كالقبلة والجسة ونحوها، والأول يشبه أن يبايع عليه الرجال ، وكذلك قيل في قوله تعالى: {وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ} [الممتحنة: 12]أنه النوح ، وهذا أيضا ليس من شأن الرجال ، فدل على ضعف قول من خصه بالنوح ، وخص البهتان بإلحاق الولد بالرجل ، وليس منه ، وقيل . (يفترينه بين أيديهن) يعني : الكذب وعيب الناس

بما ليس فيهم ،" وأرجلهن " يعنى المشي في معصية، {وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ} [الممتحنة: 12]، أي : في خير تأمرهن به ، والمعروف اسم جامع لمكارم الأخلاق ، وما عرف حسنه ولم تنكره القلوب ، وهذا معنى يعم الرجال والنساء.

وذكر ابن إسحاق في رواية يونس فيما أخذه عليهن ، أن قال ولا تغششن أزواجكن ، قالت إحداهن : وما غش أزواجنا؟ فقال : أن تأخذي من ماله فتحابي به غيره .

عامر بن زُرَيْق ، وذَكْوان بن عبد قيس بن خَلَدة بـن مُخْلِـد بـن عـامر ابن زُرَيْق .

قال ابن هشام: ذَكْوان ، مهاجري أنصاري .

ومن بنى عَوْف بن الخزرج ، ثم من بنى غَنْم بـن عـوف بـن عمـرو بـن عوف بن الخزرج ، وهم القوافل : عُبادة بن الصامت بن قيس بن أصْـرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم ؛ وأبو عبد الرحمن ، وهو يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة بن أصْرم بن عَمرو بن عَمَّارة، من بنى غُصَيْنة، من بَلِىّ حليف لهم .

قال ابن هشام : وإنما قيل لهم القواقل ، لأنهم كـانوا إذا اسـتجار بهم الرجل دفعوا له سهما وقالوا له : قوقل به بيثرب حيث شئتَ .

قال ابن هشام : القوقلة : ضرب من المشى.

قال ابن إسحاق : ومنِ بنى سالم بن عمـرو بـن الخـزرج ، ثـم مـن بنى العَجْلان بن زيد بن غنْم بن سالم : العبـاس بـن عبـادة بـن نَضَـلة بـن مالك بن العَجْلان .

ومن بنى سَلَمة بن علي بن أسـد بـن سـارِدَة بـن تَزِيـد بـن جُشَـم بـن الخزرج ، ثم من بنى حرام بن كعب بن غَنْم بن سلمة: عقبة بن عامر بـن نابى بن زيد بن حرام .

ومن بنى سواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة : قُطبة بن عامر بن حَديـدة بن عمرو بن غَنْم بن سواد.

وشهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عَمرو بن عامر ثم من بنى عبد الأشهل بن جُشَم بن الحـارث بـن الخـزرج بـن عمـرو بـن مالـك بـن الأوس : أبو الهيثم بن التَّيِّهان ، واسمه مالك .

قال ابن هشام : التيهان : يخفف ويثقل ، كقوله ميْت وميِّت .
ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس : عُوَيْم بن ساعدة .

نص البيعة: قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مَرْثد بن عبد الله اليزَنى، عن عبد الرحمن بن عُسَيلة الصنابحي ، عن عُبادة بن الصامت ، قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثنى عشر رجلا، فبايعنا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء، وذلك قبل أن تُفترض الحرب ، على أن لا نشرك باللّه شيئاً، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادَنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف . فإن وفيتم فلكم الجنة . وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى اللّه عز وجل، إن شاء عَذَّب وإن شاء غفر.

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري عن عائذ اللّه بن عبد الله الخَوْلاني أبي إدريس أن عبادة بن الصامت حدثه أنه قال : بايعنا، رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى على أن لا نشرك باللّه شيئاً، ولا نسرق ، ولا نرى ، ولا نقتل أولادَنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف ؛ فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك فأخذتم بحدِّه في الدنيا، فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى اللّه عز وجل إن شاء عذب ، وإن شاء غفر.

إرسال مصعب بن عمير مع وفد العقبة : قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القوم بعث رسول اللّه صلي الله عليه وسلم معهم مُصْعَب بن عُميْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وأمره أن قرئهم القران ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يسمى المقرئ

بالمدينة[131] مصعب . وكان منزَله[132] على أسعد بـن زُرارة بـن عـدس ،أبي أمامة

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بـن عمـر بـن قَتـادة : أنـه كـان يصلى بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض .

أول جمعة أقيمت بالمدينة

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حُنَيـف ، عن أبيه أبي أمامة، عن عبد الرحمن بن كعـب بـن مالـك ، قـال : كنـت قائد أبي : كعبِ بن مالك ، حين ذهب بصرُه ، فكنـت إذا خرجـت بـه إلـى الجمعة، فسمع الأذانَ بها صلى على أبي أمامة، أسعد بـن زرارة . قـال : فمكث حينا على ذلك لا يسمع الأذان للجمعة[133] إلا

---

[131] مصعب بن عمير وهـو المقرىـء، وهـو أول مـن سـمي بهـذا أعنـي " المقرىـء " يكنـى أبـا عبـد اللـه، كـان قبـل إسـلامه مـن أنعـم قريـش عيشـا وأعطرهم ، وكانت أمه شديدة الكلف به ، وكان يبيت وقعب الحيس عند رأسه ، يستيقظ فيأكل ، فلما أسلم أصابه من الشـدة مـا غيـر لـونه وأذهـب لحمـه ، ونهكت جسمه حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظـر إليـه ، وعليـه فروة قد رفعها، فيبكي لما كان يعـرف مـن نعمتـه ، وحلفـت أمـه حيـن أسـلم وهاجر ألا تأكل ولا تشرب ولا تستظل بظل حتى يرجع إليها، فكـانت تقـف فـي الشمس حتى تسقط مغشيا عليها، وكان بنوها يحشون فاها بشجار، وهـو عـود فيصبرن فيه الحسـاء لئلا تمـوت . وكـان مصـعب بـن عميـر فـتى مكـة شـباباً وجمالاً وسناً وكان أبواه يحبانه ، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب ، وكان أعطر أهل مكة يلبس الحضرمي من النعال .

[132] منزَل : بفتح الزاى، لأنه أراد المصدر، ولم يرد المكان .

[133] الجمعة : كانت تسمي العَروبة . كان عن هداية مـن اللّـه تعـالى لهـم قبل أن يؤمروا بها، ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول اللّه صلى اللـه عليه وسلم إلى المدينة فاستقر فرضها واستمر حكمها ولذلك قال صـلى اللـه عليه وسلم في يوم الجمعة : أضلته اليهود والنصارى، وهداكم اللّه إليه .

صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت في نفسي : واللّه إن هـذا بـي لعجز، ألا أساله ما له إذا سمع الأذان للجمعة صلى على أبي أمامة أسـعد ابن زُرارة؟ قال : فخرجت به في يوم جمعة كما كنت أخرج ، فلمـا سـمع الأذان للجمعة صلى عليه واستغفر له . قال فقلت له : يا أبتِ ، ما لك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أمامة؟ فقال : أي بُنَيَّ ، كـان أول من جمع بنا بالمدينة في هَزم النبيت[134] ، من حَرَّة بني بَياضـة، يقـال لـه : نَقيع الخَضمات[135] ، قال : قلت : وكم أنتم يومئذ؟ قال : أربعون رجلا.

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وبني عبد الأشهل :

قال ابن إسحاق : وحدثني عبيد اللّه بن المغيرة بن مُعَيْقب ، وعبـد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن حـزم : أن أسـعد بـن زُرارة خـرج بمصْعَب بن عمير يريد به دار بنـي عبـد الأشـهل ، ودار بنـي ظَفَـر، وكـان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيـد بـن عبـد الأشـهل ابـن خالة أسعد بن زُرارة، فدخل به حائطا من حوائط بني ظَفَر.

قال ابن هشام : واسم ظفـر: كعـب بـن الحـارث بـن الخـزرج بـن عمرو بن مالك بن الأوس - قالا: على بئر يقال لها: بئر مَرَق فجلسـا فـي الحائط ، واجتمع إليهما رجـال ممـن أسـلم وسـعد بـن معـاذ، وأسَـيْد بـن حُضَيْر، يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل ، وكلاهمـا مشـرك علـى دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن

---

[134] هزم النبيت : جبل على مقربة من المدينة .

[135] الخضمات : من الخضم ، وهو الأكل بالفم كلـه ، والقضـم بـأطراف الأسـنان ، ويقـال : هـو أكـل اليـابس ، والخضـم : أكـل الرطـب ، فكـأنه جمـع خضمة، وهي الماشية التى تخضم .

حُضَير: لا أبا لك ، انطلق إلى هـذين الرجليـن اللـذين قـد أتيـا داريْنـا ليسفها ضعفاءنا، فازجرْهما وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد ابن زرارة منى حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ، ولا أجد عليـه مقدما.

قال : فأخذ أسيد بن حُضَير حربته ثم أقبل إليهما؛ فلما رآه أسـعد ابـن زُرارة، قال لمصعب بن عمير: ،هذا سيد قومه قـد جـاءك ، فاصـدق اللّـه فيه؛ قال مصعب : إن يجلس أكلمْه . قال فوقف عليهما مُتشتِّما، فقـال : ما جاء بكما إلينـا تسـفهان ضـعفاءَنا؟ اعتزلانـا إن كـانت لكمـا بأنفسـكما حاجة .

فقال له مصعب : أوَ تجلـس فتسـمع ، فـإن رضـيت أمـراً قبلتـه ، وإن كرهته كُف عنك ما تكره ؟

قال : أنصفت ، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مُصْعَب بالإسلام ، وقرأ عليه القران؛ فقالا فيما يذكر عنهما: واللّه لعرفنا في وجهه الإسـلامَ قبل أن يتكلم في إشـراقه وتسـهُّله ، ثـم . قـال : مـا أحسـن هـذا الكلام وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تـدخلوا فـي هـذا الـدين ؟ قـالا لـه : تغتسل فتطهَّر وتطهر ثوبيك ، ثم تصلى[136].

---

[136] ذكر فيه الاغتسال لهما بأمر مصعب بن عمير، فذلك السـنة فـي كـل كافر يسلم ، ثم اختلف في نية الكافر إذا أسلم باغتساله ، فقال بعضـهم ينـوي به رفع الجنابة عن نفسه ، وقال بعضهم : ينـوي التعبـد، ولا حكـم للجنابـة فـي حقه ، لأن معنى الأمر به استباحة الصلاة، والكافر لا يصلى، وإن كـان مخاطبـاً في أصح القولين أي هل الكافر مخـاطب -بفـروع الشـريعة أم لا؟ ولكنـه أمـر مشروط بالإيمان ، فإذا لم يكن الإيمان – وهو الشرط الأول – فأجدر بأن يكون الشرط الثاني – وهو الغسل من الجنابة غيـر مقيـد بشـيء ، فـإذا أسـلم هـدم الإسـلام مـا كـان قبلـه ، فلـم يجـب عليـه إعـادة صـلاة مضـت ، وإذا سـقطت الصلوات سقطت عنـه شـروطها، واسـتأنف الأحكـام الشـرعية، فتجـب عليـه الصلوات من حين يسلم بشروط أدائها من وضوء وغسل من جنابـة، إذا أجنـب بعد إسلامه .

فقام فاغتسل وطهر ثـوبيه ، وتشـهد شـهادة الحـق ، ثـم قـام فركـع ركعتين ، ثم قال لهما: إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحـد مـن في قومه وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن مُعاذ، ثم أخذ حربتـه وانصـرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم؛ فلما نظـر إليـه سـعد بـن معـاذ مقبلا، قال : أحلف باللّه لقد جاءكم أسَيْد بغير الوجه الـذي ذهـب بـه مـن عندكم؛ فلما وقف على النادي قال لـه سـعد: مـا فعلـت ؟ قـال : كلمـت الرجلين ، فو اللّه ما رأيت بهما بأسا، وقد نهيتهما، فقالا: نفعل ما أحببـت ، وقد حُدِّثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلـك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ، ليخفروك[137] .
قال : فقام سعد مغضَباً مبادراً، تخوُّفا للذي ذُكر له من بنى حارثة، فأخذ الحربة من يده ، ثم قال : واللّه ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما؛ فلما رآهما سعد مطمئنين ، عرف سعد أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتما، ثم قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة، أما واللّه ، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني ، أتغشانا في دارينا بما نكره – وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مُصْعب ، جاءك واللّه سيد مَن وراءه من قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان -: قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته ، وأن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد: أنصفت .
ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القران ، قالا: فعرفنا واللّه في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، لإشراقه وتسهُّله ، ثم قال لهما: وكيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا: تغتسل فتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ركعتين .

---

[137] لينقضوا عهدك .

قال :فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته ، فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير.

قال : فلما رآه قومه مقبلا، قالوا: نحلف باللّه لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم؛ فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعملون أمري فيكم قالوا: سيدُنا وأفضلُنا رأياً ، وأيمنُنا نقيبةً قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا باللّه وبرسوله .

قالا: فواللّه ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمةً، ورجع أسعد ومُصْعَب إلى منزل أسعد بن زُرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد، وخَطْمة ووائل وواقف ، وتلك أوس اللّه ، وهم من الأوْس بن حارثة، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسْلَت ، وهو صيفي ، وكان شاعراً لهم وقائداً يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام ، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق ، وقال فيما رأى من الإسلام ، وما اختلف الناس فيه من أمره :

أربَّ الناسِ أشياخ ألمَّتْ يُلَفُّ الصعبُ منها بالذَّلولِ
أربَّ الناسِ أما إذ ضللنا فيسِّرْنا لمعروفِ السبيلِ
فلولا ربُّنا كنا يهوداً وما دينُ اليهودِ بذي شُكولِ[138]

---

[138] الشكول : جمع شكل وشكل الشيء - بالفتح - هو مثله والشكل بالكسر الدل والحسن فكأنه أراد أن دين اليهود بدع ، فليس له شكول أي : ليس له نظير في الحقائق ، ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول ، وقد قال الطائي :

وقلت : أخي قالوا: أخ من قرابة فقلت لهم : إن الشكول أقارب
قريبى في رأيى ودينى ومذهبى وإن باعدتنا في الخطوب المناسب

انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ 2 ص 200 .

ولولا ربُّنا كنا نصـــارى   مع الرهبانِ في جبلِ الجليلِ[139]
ولكنا خُلقنا إذ خُلقنـــا   حنيفاً دينُنا عن كلِّ جيلِ
نسوق الهَدْي تَرسُف مُذْعِناتٍ   مُكَشَّفة المناكبِ في الجُلـــولِ[140]

قال ابن هشام : أنشدنى قـوله : فلـولا ربنـا، وقـوله : لـولا ربنـا، وقوله : مكشفة المناكب في الجلول ، رجل من الأنصار، أو من خزاعة .

أمر العقبة الثانية

قال ابن إسحاق : ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قـومهم مـن أهـل الشرك ، حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم العقبة، من أوسط أيام التشريق ، حين أراد من كرامتـه ؛ والنصـرِ لنـبيه ، وإعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الشرك وأهله .

البراء بن معـرور يصـلي إلـى الكعبـة : قـال ابـن إسـحاق : حدثني مَعْبَد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القَيْن ، أخـو بنـي سَـلَمة، أن أخاه عبد الله بن كعب ، وكان من أعلـم الأنصـار، حـدثه أن أبـاه كعبـا حدثه ، وكان كعب ممن شهد العقبة وبـايع رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسلم بها، قال : خرجنـا فـي حجـاج قومنـا مـن المشـركين ، وقـد صـلينا وفقِهنا،

---

[139] الجليل : جبل معروف في الشام .

[140] ترسف : تمشي مشي المقيد، والجلول : جمع جـل وهـو مـا تلبسـه الدابة لتُصان به .

ومعنا البراء بن معرور، سيدنا وكبيرنا.

فلما وجهنا لسفرنا، وخرجنا من المدينة، قال البراء لنا: يا هؤلاء، إني قد رأيت رأيا، فواللّه ما أدري ، أتوافقونني عليه ، أم لا؟ قال : قلنا: وما ذاك ؟ قال : قد رأيت أن لا أدع هذه البَنِيَّة مني بظهر، يعنى الكعبة، وأن أصلي إليها. قال : فقلنا، واللّه ما بلغنا أن نبيَّنا صلى الله عليه وسلم يصلى إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه . قال؛ فقال : إني لمصلٍ إليها. قال : فقلن! له : لكنا لا نفعل .

قال : فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام ، وصلى إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة . قال : وقد كنا عبنا عليه ما صنع ، وأبى إلا الإقامة على ذلك . فلما قدمنا مكة قال لي: يا ابن أخى، انطلق بنا إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، حتى نسأَله عما صنعت في سفري هذا، فإنه واللّه قد وقع في نفسي منه شيء ، لما رأيت من خلافكم إياي فيه .

قال : فخرجنا نسأل عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، وكنا لا نعرفه ، ولم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة، فسألناه عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا: لا؛ قال : فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال : قلنا: نعم - قال : كنا نعرف العباس ، وكان لا يزال يقدم علينا تاجراً - قال : فإن دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس . قال : فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ، ورسول اللّه صلى الله عليه وسلم جالس معه ، فسلمنا ثم جلسنا إليه . فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ، هذا البَراء بن معرور، سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك قال : فواللّه ما أنسى قول رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: الشاعر؟ قال نعم ، قال : فقال له البراء بن معرور: يا نبى اللّه ، إني خرجت في سفري هذا، وقد هدانى اللّه للإِسلام ، فرأيت أن لا .

أجعل هذه البَنيَّة مني بظهر، فصليت إليها، وقد خـالفني أصـحابى فـي ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شىء، فماذا ترى يا رسول اللّه ؟ قـال : كنت على قبلة لو صبرت[141] عليها. قال : فرجع البراء إلى قبلـة رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ، وصـلى معنـا إلـى الشـام . قـال : وأهلـه يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مـات ، وليـس ذلـك كمـا قـالوا، نحـن أعلم به منهم .

قال ابن هشام : وقال عَوْن بن أيوب الأنصاري :

ومنا المصلِّي أولَ الناس مُقبلاً على كعبةِ الرحمنِ بينَ المشاعرِ

يعني البراء بن معرور. وهذا البيت في قصيدة له .

إسلام عبد الله بن عمرو بن حرام : قال ابن إسحاق : حدثني مَعْبَد بن كعب ، أن أخاه عبد الله بن كعب حـدثه أن أبـاه كعـب بـن مالـك حدثه ، قال كعب : ثم خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسـول اللّـه صـلى اللـه عليه وسلم بالعقبة من أوسط أيام التشريق . قال : فلما فرغنا من الحج ، وكانت

---

[141] قول رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها، فقه قوله : لو صبرت عليها: أنه لم يأمره بإعادة ما قد صـلى: لأنـه كـان متأولا وفي الحديث : دليل على أن رسول اللّه صـلى اللـه عليـه وسـلم ، كـان يصلي بمكة إلى بيت المقدس ، وهو قول ابن عباس ، وقالت طائفة : ما صلى إلى بيت المقدس إلا مذ قدم المدينة سبعة عشر شـهرا أو سـتة عشـر شـهرا، فعلى هذا يكون في القبلة نسـخان نسـخ سـنة بقـرآن ، وقـد بيـن حـديث ابـن عباس منشأ الخلاف في هذه المسألة، فروي عنه من طرق صحاح أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم، كان إذا صـلى بمكـة اسـتقبل بيـت المقـدس ، وجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس ، فلما كان عليه السـلام يتحـرى القبلـتين جميعاً لم يبن توجهه إلى بيت المقدس للناس ، حتى خرج من مكة واللّه أعلـم . قال الله تعالى له في الآية الناسخة : {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَـطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [البقرة: 149] أي : من أي جهة جئت إلى الصلاة، وخرجت إليها فاستقبل الكعبة كنت مستدبراً لبيت المقدس ، أو لم تكن؛ لأنه كان بمكـة يتحرى في استقباله بيـت المقـدس أن تكـون الكعبـة بيـن يـديه ، وتـدبر قـوله تعالى: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ} وقال لأمته : {وَحَيْثُ مَا كُنْتُـمْ فَوَلُّـوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ}.

الليلة التي واعدنا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لهـا، ومعنـا عبـد الله بن عَمرو بن حرام أبو جابر، سيد من سادتنا، وشريف مـن أشـرافنا، أخذناه معنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشـركين أمرنـا، فكلمنـاه وقلنا له : يا أبا جابر، إنك سـيد مـن سـادتنا، وشـريف مـن أشـرافنا، وإنـا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غدا، ثم دعوناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول اللّه صلى اللـه عليـه وسـلم إيانـا العقبـة . قـال : فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً.

امرأتان في البيعة : قال : فنمنا تلك الليلة مـع قومِنـا فـي رحالنـا، حتى إذا مضى ثُلثُ الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسـول اللّـه صـلى اللـه عليه وسلم، نتسلل تسلل القَطا مُستَخفين ، حـتى اجتمعنـا فـي الشِّـعْب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا، ومعنا امرأتان مـن نسـائنا: نُسَـيْبة بنت كعب ، أم عُمارة[142]، إحدى نساء بنى مازن بن النجـار، وأسـماء بنـت عمرو بن عدي بن نَابِى، إحدى نساء بنى سَلَمة، وهي أم مَنيع .

العباس يستوثق من الأنصار: قال : فاجتمعنا في الشِّعْب ننتظر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العبـاس بـن عبـد المطلب وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضُرَ أمر ابـن أخيـه ويتوثَقَ له . فلما جلس كان أول مُتكلم العباس بن عبد المطلـب فقـال : يا معشر الخـزرج - قـال : وكـانت العـرب إنمـا يسـمون هـذا الحـي مـن الأنصار: الخزرج ، خزرجها وأوْسها -: إن محمداً منا حيث قد علمتم

---

[142] أم عماره : هى نسيبة بنت كعب امرأة زيـد بـن عاصـم شـهدت بيعـة العقبـة وبيعـة الرضـوان ، وشـهدت يـوم اليمامـة، وباشـرت القتـال بنفسـها، وشاركت ابنها عبد الله في قتل مسيلمة، فقُطعـت يـدها، وجرحـت اثنـا عشـر جرحا، ثم عاشت بعد ذلك دهراً. ويروى أن

أم عمارة قالت لرسول اللّه صلى الله عليه وسـلم مـا أرى كـل شـيء إلا للرجـال ، ومـا أرى للنسـاء شـيئا، فـأنزل اللـه تعـالى: **{** إِنَّ الْمُسْـلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ**}** [الأحزاب: 35] الآية .

وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز مـن قومه ومَنَعة في بلده ، وإنه قد أبي إلا الانحياز إليكم ، واللحوق بكم ، فإن كنتم تَرَوْن أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خـالفه ، فـأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم تَرَوْن أنكم مُسْلِموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدَعَوْه ، فإنه في عِز ومَنَعة من قومه وبلـده . قـال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت فتكلمْ يا رسول اللّه ، فخذْ لنفسك ولربك ما أحببت.

عهد الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام علـى الأنصـار: قـال : فتكلم رسولُ اللّه صلى اللـه عليـه وسـلم، فتلا القـرانَ ، ودعـا إلـى اللّـه ورغَّب في الإسلام ، ثم قال :أبايعكم على أن تمنعونى ممـا تمنعـون منـه نساءَكم وأبناءَكم . قال : فأخذ البَـراء بـن معـرور بيـده ، ثـم قـال : نعـم والذي بعثك بالحق لنمنَعنَّك مما نمنع منه أزُرَنـا[143] فبايعْنـا يـا رسـول اللّـه فنحن واللّه أبناءُ الحروب ، وأهل الحلْقة، ورثناها كـابراً عـن كـابر. قـال : فاعترض القولَ - والبراء يكلم رسول اللّه صـلى اللـه عليـه وسـلم - أبـو الهيثم بن التَّيِّهان ، فقال يا رسول اللّه ، إن بيننا وبين الرجـال حبـالا، وإنّـا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهـرك اللّـهُ أن ترجع إلى قومك وتَدَعنا؟ قال : فتبسم رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسلم، ثم قال : بل الدم الدم ، والهَدْم الهَـدْم[144] ، أنـا منكـم وأنتـم منـى،

---

[143] وذكر قول البراء بن معرور، وهو أول من ضرب بيده على يد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، بالبيعة على اختلاف في ذلك قد ذكره ابن إسحاق ، فقال : نبايعك على أن نمنعك مما نمنع منه أزرنا، أراد: نساءنا، والعرب تكني عن المرأة بالإزار وتكني أيضاً بالإزار عن النفس ، وتجعل الثوب عبارة عن لابسه كما قال :

رموها بأثواب خفاف فلا ترى لها شبهاً إلا النعام المنفَّرا

أي : بأبدان خفاف ، فقوله مما نمنع أزرنا يحتمل الوجهين جميعاً.

[144] قال ابن قتيبة : كانت العـرب تقـول عنـد عقـد الحلـف والجـوار: دمي دمك وهدمي هدمك ، أي : مـا هـدمت مـن الدماء هدمته أنـا، ويقـال أيضـا: بـل اللـدم اللـدم والهدم الهدم وأنشد:

ثم الحقي بهدمي ولدمى

فاللدم : جمع لادم ، وهم أهله الذين يلتدمون عليه إذا مات ، وهو مـن لدمت صدره : إذا ضربته . والهدم ، قال ابن هشـام : الحرمـة، وإنمـا كنـى عن حرمة الرجل وأهله بالهـدم ، لأنهـم كـانوا أهـل نجعـة وارتحلـوا. ولهـم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم فكلما ظعنوا هدموها، والهدم بمعنى المهدوم كالقبض بمعنى المقبوض ، ثم جعلوا الهدم وهو البيت المهدوم عبـارة عمـا حوى، ثم قال : هدمي هدمك أي : رحلتي مـع رحلتـك أي لا أظعـن وأدعـك وأنشد يعقوب بن السكيت :

أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم .
قال ابن هشام : ويقال : الهَدَم الهدَم : يعنى الحرمـة . أي ذمـتي ذمتكم ، وحرمتى حرمتكم .
قال كعب بن مالك : وقـد قـال رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: أخرجوا إلـيَّ منكـم اثنـى عشـر نقيبـا، ليكونـوا على قـومِهم بمـا فيهـم . فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوْس .

أسماء النقباء الاثنى عشر

نقباء الخزرج : قال ابن هشام : من الخزرج - فيمـا حـدثنا زيـاد ابن عبد الله البكّائى، عن محمد بن إسحاق المطلـبى - أبـو أمامـة أسـعد بن زُرارة بن عُدَس بن عُبَيْد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، وهو تَيْم اللّه بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، وسعد بن الربيـع بـن عمـرو بـن أبـي زُهَيْر بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، وعبد الله بن رَوَاحة بن

تمضى إذا زجرت عن سوأة قدماً كأنها هدم في الجفر منقاض

ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك الأغـر بـن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخـزرج . ورافـع بـن مالـك بـن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضب بن جُشَم بن الخزرج ، والبَرَاء بن معرور بن صخر بن خنسـاء بـن سـنان بـن عبيد بن عدي بن غَنْم بن كعب بن سلمة بن سعد بـن علـي بـن أسـد بـن سارِدَة بن تَزيد بن جُشَم بن الخزرج؛ وعبد الله بـن عَمـرو بـن حـرام بـن ثعلبَة بن حرام بن كعب بن سَلَمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تَزيد بن جُشَم بن الخزرج ، وعُبادة بن الصامت بـن قَيْـس بـن أصْـرم بـن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عَوْف بن عَمرو بن عَوْف بن الخزرج .

قال ابن هشام : هو غَنْم بن عوف ، أخو سالم بن عَوْف بن عمرو بن الخز رج .

قال ابن إسحاق : وسعد بن عُبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي حَزِيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخـزرج ،والمنـذر بن عمرو بن خُنيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد وُدّ بن زيـد بـن ثعلبـة بـن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج .

قال ابن هشام : ويقال : ابن خُنَيس .

نقباء الأوس : ومن الأوْس : أسُيْد بن حُضَـير بـن سِـمَاك بـن عَتيـك ابن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، وسعد بـن خَيثُمـة بـن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّجَّـاط بـن كعـب بـن حارثـة بـن غَنْـم بـن السَّلَم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ، ورفاعة بن عبـد المنـذر بـن زَنْبَر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عَـوْف بـن عمـرو بـن عـوف بـن مالك بن الأوس .

شعر كعب بن مالك في النقباء : قال ابن هشام : وأهل العلم يعدُّون فيهم أبا الهيثم بـن التيهـان ، ولا يعـدون رفاعـة، وقـال كعـب ابـن مالك يذكرهم ، فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري :

أبلغْ أبَيا أنه فال رأيـــه وحال غداة الشِّعْب والحينُ واقــــعُ[145]
أبي اللّه ما منَّتك نفسُك إنـه بمرصادِ أمرِ الناسِ راءٍ وسامعُ
وأبلغ أبا سفيان أنْ قد بدا لنا بأحمدَ نورٌ من هُدَى اللَّهِ ساطعُ
فلا ترغبنْ في حشدِ أمر تريدُه وألِّبْ وجَمِّعْ كلَّ ما أنت جامعُ
ودونَك فاعلم أن نقضَ عهودِنا أباه عليك الرهطُ حين تبايعُوا
أباه البَراء وابن عَمرو كلاهما وأسعدُ يأباه عليك ورافعُ
وسعد أباه الساعديُّ ومُنـذِر لأنفِك إن حاولتَ ذلك جادعُ
وما ابنُ ربيعٍ إن تناولت عهدَه بمسلمِه لا يطمعنْ ثَمَّ طامعُ
وأيضاً فلا يُعطيكه ابنُ رَواحَة وإخفارُه من دونِه السمُّ ناقعُ
وفاءً به والقَوْقليِ بن صامتٍ بمندوحةٍ عما تحاولُ يافعُ[146]
أبو هَيْثمٍ أيضا وفيّ بمثلهـا وفاء بما أعطى من العهد خانع[147]
وما ابن حضير إن أردت بمطمع فهل أنت عن أحموقة الغي نازع
وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه ضروح لما حاولت ملأمر مانع[148]
أولاك نجوم لا يغبك منهـــم عليك بنحس في دجى الليل طالع

فذكر كعب فيهم " أبا الهيثم بن التيهان " ولم يذكر " رفاعة ". **قال ابن إسحاق :** فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول اللّه

---

[145] فال : بطل .

[146] اليافع : العالي .

[147] الخانع : الذليل .

[148] ضروح: أي المدافع عن نفسه .

صلى الله عليه وسلم قال للنقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومي - يعنى المسلمين - قالوا: نعم .

ما قاله العباس بن عبادة للخزرج : قال ابن إسحاق :

وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري ، أخو بني سالم بن عوف : يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا: نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلا أسلمتموه؛ فمن الآن ، فهو واللّه إن فعلتم خِزيُ الدنيا والآخرة، وإن كنتم تَرَوْن أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نَهكَةِ الأموال[149] ، وقتْل الأشراف ، فخذوه ، فهو واللّه خير الدنيا والآخرة، قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتْل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول اللّه إن نحن وفَّينا. قال : الجنة. قالوا: أبسطْ يدك ، فبسط يده فبايعوه .

وأما عاصم بن عُمر بن قتادة فقال : واللّه ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم في أعناقهم .

وأما عبد الله بن أبي بكر فقال : ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة، رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي ابن سلول ، فيكون أقوى لأمر القوم . فاللّه أعلم أي ذلك كان .

قال ابن هشام: سلول : امرأة من خزاعة، . وهى أم أبي بن مالك ابن الحارث .

---

[149] نهكة الأموال : نقصها.

أول من ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية:

قال ابن إسحاق : فبنـو النجـار يزعُمـون أن أبـا أمامـة، أسـعد بـن زرارة، كان أول من ضرب على يده ، وبنو عبد الأشهل يقولـون : بـل أبـو الهيثم بن التَّيهان .

قال ابن إسحاق : فأما معبد بن كعب بن مالك فحدثني في حديثه ، عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك ، قـال : كـان أول مـن ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور، ثم بايع بعد القوم .

الشيطان يصرخ بعد بيعة العقبة : فلما بايعنا رسـول اللّـه صـلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قـط : يا أهل الجَباجِب[150] - والجباجب المنازل - هل لكـم فـي مُـذَمَّم والصُّـباة معه ، قد اجتمعوا على حربكم ؟ قال : فقال رسول اللّه صلى اللـه عليـه وسلم : هذا أزْبُ[151] العقبة، هذا ابن أزْيب – **قال ابـن هشـام** . ويقـال ابن أزَيْب - أتسمع أي عدو اللّه أما واللّه لأفرغنَّ لك .

---

[150] يا أهل الجباجب ، يعني : منازل منى.

[151] أزب العقبة : وهو اسم شيطان، ووقع في هذه النسخة في غزوة أحد إزْب العقبة بكسر الهمزة وسكون الزاي ، وفي حديث ابن الزبير مـا يشـهد لـه حين رأى رجلا طوله شبران على بردعة رحله فأخذ سوطه فأتـاه ، فقـال : مـا أنت فقال أزب قال وما أزب ؟ قال : رجل من الجن ، فضـربه بـه علـى رأسـه بعود السوط حتى باص ، أي هرب ، وقال يعقـوب بـن السـكيت فـي الألفـاظ : الأزب : القصير وحديث ابن الزبير ذكـره العتـبي فـي الغريـب فـاللّه أعلـم أي اللفظين أصح ؟ وابن أزيب في رواية ابن هشام يجوز أن يكون فعيلا من الإزب أيضا والأزيب : البخيل ، وأزيب : اسم ريح من الريـاح الأربـع ، والآزيـب الفـزع أيضا، والأزيب : الرجل المتقارب المشي، وهو على وزن أفعـل ، قـاله صـاحب العين . (عن الروض الأنف بتحقيقنا).

الأنصار تستعجل الحرب : قال : ثم قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : ارفَضُّوا إلى رحالكم . قال : فقال له العباس بن عُبادة بن نَضلة : واللّه الذي بعثك بالحق ، إن شئت لنميلنَّ على أهلِ منىً غداً بأسيافنا؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم نُؤمرْ بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم . قال : فرجعنا إلي مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا.

قريش تجادل الأنصار: قال : فلما أصبحنا غدت علينا جِلَّة قريش، حتى جاءونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج ، إنه قد بلَغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه واللّه ما من حي من العرب أبغض إلينا، أن تنشب الحرب بيننا وبينِهم ، منكم . قال : فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون باللّه ما كان من هذا شىء، وما علمناه . قال ؛ وقد صدقوا، لم يعلموه . قال : وبعضنا ينظر .إلى بعض ، قال : ثم قام القوم ، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى، وعليه نعلان له جديدان . قال فقلت له كلمة – كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا -: يا أبا جابر، أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا، مثل نعلَيْ هذا الفتى من قريش؟ قال فسمعها الحارث ، فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلىَّ، وقال : واللّه لتَنْتعَلَنَّهُما. قال : يقول : أبو جابر: مَهْ ، أحفظتَ واللّه المفتى، فاردد إليه نعليه ، قال : قلت : والله لا أردّهما، قالُ واللّه صالح ، لئن صدق الفأل لأسلُبَنَّه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر: أنهم أتوا عبد الله بن أبي ابن سلول ، فقالوا له مثل ما قال كعب من القول ، فقال لهم : إن هذا الأمر جسيم ، ما كان قومي ليتفوتوا علىَّ بمثل هذا، وما علمتُه كان ، قال : فانصرفوا عنه .

قريش تأسر سعد بن عُبادة: قال : ونفر الناس من مِنىً ، فتنطّس القومُ الخبرَ[152]، فوجدوه قد كان ، وخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عُبادة بأذَاخر، والمنذر بن عمرو، أخا بني ساعدة بن كعب ابن الخزرج ، وكلاهما كان نقيبا، فأما المنذر فأعجز القومَ ؛ وأما سعد فأخذوه ، فربطوا يديه إلى عنقه بنِسْعٍ[153] رحله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ، ويجذبونه بجُمته ، وكان ذا شعر كثير.

خلاص سعد: قال سعد: فواللّه إني لفي أيديهم إذ طلع عليَّ نفر من قريش، فيهم رجل وضئ أبيض ، شَعْشاع[154]، حلو من الرجال.

قال ابن هشام : الشَّعْشاع الطويل الحسن . قال رؤبة:

يمطوه من شَعْشاعٍ غيرِ مُودن

يعنى: عنق البعير غير قصير، يقول : مودن اليد، أي ناقص اليد. قال : فقلت في نفسى : إن يك عند أحد من القوم خيرٌ ، فعند هذا قال : فلما دنا مني رفع يدَه فلكمني لكمةً شديدة قال : فقلت في نفسي : لا واللّه ما عندهم بعد هذا من خير قال : فواللّه إني لفي أيديهم يسحبونني إذا أوى[155] لي رجل ممن كان معهم ،فقال : ويحك ! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد؟ قال : قلت : بلَى، واللّه ، لقد كنت أجير لجُبير بن مُطْعِم بن عَدِي بن نَوْفل بن

---

[152] أكثروا في البحث عنه . والتنطس، تدقيق النظر.

[153] النسع : الشراك الذى يشد به الرجل .

[154] شعشاع : والشعشاع والشعشاعاني والشعشعان : الطويل من الرجال ، وكذلك السلهب والصقعب والشوقب والشرجن والخبق والشوذب الطويل مع رقة في أسماء كثيرة.

[155] أوي : رق له ، ورحم .

عبد مناف تجارة، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي ، وللحارث بن حرب ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ؛ قال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين ، واذكر ما بينَك وبينهما: قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما، فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما: إن رجلاً من الخزرج الآن يُضرب بالأبطح ويَهتف بكما، ويذكر أن بينه وبينكما جواراً؛ قالا: ومن هو؟ قال : سعد بن عبادة، قالا: صدق واللّه ، إن كان ليجير لنا تجارَنا، ويمنعهم أن يُظلموا ببلده . قال : فجاءا فخلَّصا سعداً من أيديهم فانطلق ، وكان الذي لكم سعداً سُهَيْل بن عَمرو، أخو بني عامر بن لؤي .

قال ابن هشام: وكان الرجل الذي أوي إليه ، أبا البَخْتَري بن هشام .

أول ما قيل في الهجرة من الشعر: قال ابن إسحاق : وكان أول شعر قيل في الهجرة بيتين ، قالهما ضرار[156] بن الخطاب بن مرداس ، أخو بني محارب بن فهر:

تداركتَ سعداً عَنوةً فأخذته وكان شفاءً لو تداركتَ مُنذِرَا

لو نِلته طُلَّت هناك جراحُه وكانت حَرِيًّا أن يُهان ويُهدَرَا[157]

قال ابن هشام : ويروى :

وكان حقيقا أن يُهان ويُهدَرا

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت فيهما فقال :

---

[156] ضرار: كان شاعر قريش وفارسها، ولم يكن في قريش أشعر منه ثم ابن الزبعرى ابن قيس بن عدى، وكان جده مرداس رئيس بنى محارب بن فهر في الجاهلية يسير فيهم بالمرباع ، وهو ربع الغنيمة، وكان أبوه أيام الفجار رئيس بني محارب ابن فهر. أسلم ضرار عام الفتح .

[157] طلت : هدرت .

لستَ إلى سعدٍ ولا المرء مُنذِرٍ إذا ما مَطايا القومِ أصبحْن ضُمَّرَا
فلولا أبو وهْبٍ لمرَّت قصائد على شرفِ البَرقاءِ يَهْوينَ حُسَّرَا
أتفخُرُ بالكتانِ لما لبسْتَــه وقد تلبَس الأنباطُ رِيطا مُقَصَّرَا[158]
فلا تَكُ كالوَسْنانِ يحلمُ أنــه بقريةِ كِسْرَى أو بقريةِ قَيْصَرَا
ولا تك كالثَّكلَى وكانت بمعْزِلٍ عن الثُّكْلِ لو كان الفؤادُ تفكَّرَا
ولا تكَ كالشاةِ التي كان حتفُها بحفرٍ ذرِاعَيْها فلم ترضَ محفَرَا[159]
ولا تك كالعاوِي فأقبلَ نحـرَه ولم يَخْشَه سهماً من النَّبلِ مُضْمَرا
فإنا ومن يُهدِي القصائدَ نحوَنا كمسْتَبضِعٍ تمراً إلى أهلِ خَيْبَرَا

قصة صنم عمرو بن ا لجموح

فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها، وفى قومهم بقايا مــن شـيوخ لهم على دينهم من الشرك ، منهم عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام بـن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة، وكان ابنه مُعاذ بن عمـرو شـهد العقبـة، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، وكان عَمرو بن الجَموح سيداً من سادات بني سَلمة، وشريفاً من أشرافِهم ؛ وكـان قـد اتخـذ فـي داره صنما من خشب ، يقال له : مَناةُ[160]، كما كانت الأشراف

---

158 الريط : الملاحف البيض .

159 تقول العرب في مثل قديم فيمن أثار على نفسه شـرا كالبـاحث عـن المدية وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ :

وكان يجيز الناس من سيف مالك فأصبح يبغى نفسه من يجيزها
وكان كعنز السوء قامت بظلفها إلى مدية تحت التراب تثيرها

160 مناة : وزنه فعلة من منيت الدم وغيره إذا صببته ، لأن الدماء كـانت تمني عنده تقربا إليه ، ومنه سميت الأصنام الدُّمَى، وفـي قـول : لا والـدمى لا أرى بما تقول بأسا، وكذلك مناة الطاغية التي كانوا يهلون إليها بقيد والْحظ من هذا المطلع ما في قوله تعالى : { وَمَنَاةَ الثَّالِثَـةَ الْأُخْـرَى} [النجـم: 20] مـن الفائدة جعلها ثالثة للات والعزى، وأخرى بالإضافة إلى منـاة الـتي كـان يعبـدها عمرو بن الجموح وغيره من قومه .

يصنعون ، تتخذه إلها تعظّمه وتطهره ، فلما أسلم فتيان بني سَـلَمة : معاذُ ابن جبل، وابنه مُعاذ بن عَمْرو بن الجَموح ، فـي فتيـان منهـم ممـن أسلم وشهد العقبة كانوا يدلجون بالليل على صنم عَمرو ذلـك فيحملـونه فيطرحونه في بعض حُفر بنى سلمة، وفيها عِذَرُ[161] النـاس ، مُنَكَّسـا علـى رأسه ، فإذا أصبح عمرو، قال : ويلكم ! من عدا على آلهتنـا هـذه الليلـة؟ قال : ثم يغدو يلتمسه ، حتى إذا وجده غسله وطهـره وطيبـه ، ثـم قـال : أما واللّه لو أعلم من فعل هذا بك لأخْزِيَنَّه . فإذا أمسى ونام عَمرو، عَدَوا عليه ، ففعلوا به مثل ذلك ، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه مــن الأذى، فيغْسله ويطهره ويطيبه ، ثم يعدون عليه ، إذ أمسى، فيفعلـون بـه مثـل ذلك . فلما أكثروا عليه ، استخرجه من حيث ألْقَوْه يوما، فغسـله وطهـره وطيبه ، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ، ثـم قـال : ،إنـي واللّـه مـا أعلـم مـن يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فـامتنع ، فهـذا السـيف معـك – فلمـا أمسى ونام عمرو، عَدَوا عليه ، فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخـذوا كلبـا ميتا فقرنوه به بحبل ، ثم ألْقَوْه في بئر من آبار بني سَلَمة، فيها عِذَر مــن عِذر الناس ، ثم عدا عَمرو بن الجَموح فلم يجده في مكانه الذي كان به .

إسلام عمرو وما قاله من الشعر: فخرج يتبعـه حـتى وجـده فـي تلك البئر منَكَّسا مقرونا بكلب ميت ، فلما رآه وأبصر شـأنه ، وكلمـه مـن أسلم من قومه ، فأسلم برحمة اللّه ، وحسُنَ إسلامه ، فقال حيـن أسـلم وعرَف من اللّه ما عرَف ، وهو يـذكر صـنمه ذلـك ومـا أبصـر مـن أمـره ، ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العَمَى والضلالة:

---

[161] فضلات الناس .

واللّهِ لو كنتَ إلهاً لم تكـنْ أنتَ وكلب وسْطَ بئر في قَرَنْ[162]

أفّ لمَلْقَاك إلهاً مُسْتَـدَن الآنَ فتشناكَ عَنْ سُوءِ الغَبَنْ[163]

الحمدُ للهِ العليِّ ذي المئنَ الواهبِ الرزاقِ دَيانِ الدّيَنْ[164]

هو الذي أنقذني مـن أن أكونَ في ظُلَمةِ قبر مُرْتَهنْ

بأحمدَ المهدي النبيِّ المرتهنْ

شروط البيعة في العقبة الأخيرة

قال ابن إسحاق : وكانت بيعـةُ الحـرب ، حيـن أذِن اللّـهُ لرسـولِه صلى الله عليه وسلم في القتال شروطاً سوى شرطِه عليهم في العقبـة الأولى، كانت الأولى على بيعة النساء وذلك أن اللّـه تعـالى لـم يكـن أذِنَ لرسوله صـلى اللّـه عليـه وسـلم فـي الحـرب ، فلمـا أذن اللّـه لـه فيهـا، وبايعهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في العقبة الأخيرة علـى حـرب الأحْمر والأسود، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربِّه ، وجعل لهـم علـى الوفاء بذلك الجنة.

قال ابن إسحاق : فحدثني عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصـامت ،

---

[162] القرن : الحبل .

[163] مستدن : من السدانة، وهى خدمة البيت وتعظيمه ، والغبـن : الغبـن في الرأي يقال غبن رأيه كما يقال سـفه نفسـه ، فنصـبوا، لأن المعنـى: خسـر نفسه ، وأوبقها وأفسد رأيه ونحو هذا.

[164] الدين جمع دينة، وهى العادة، ويقال لها دين أيضاً، وقال ابن الطثرية، واسمه يزيد:

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم له عند ليلى دينة يستدينها

فألقيت سهمى بينهم حين أوخشوا فما صار لي في القسـم إلا ثمينها ويجوز أن يكون أراد بالدين : الأديـان أي هـو ديـان أهـل الأديـان ، ولكـن جمعها على الدين ، لأنها مِلل ونِحل ، كما قالوا في جمع : الحرة: حرائر، لأنهـن في معنى الكرائم والعقائل .

عن أبيه الوليد، عن جَدِّه عُبادة بن الصامت ، وكان أحد النقباء، قال : بايعنا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بَيْعـة الحـرب - وكـان عُبـادة مـن الاثنى عشر الذين بايعوه في العقبـة الأولـى علـى بيعـة النسـاء - وعلـى السمع والطاعة؛ في عُسرنا ويُسرنا ومُنْشَطنا ومُكْرَهنا، وأثْرَةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمرَ أهلَه ، وأن نقولَ بالحقِّ أينما كنا، لا نخاف في اللّه لَوْمة لائم .

أسماء من شهد العقبة الأخيرة

عدد من شهدها: قـال ابـن إسـحاق : وهـذا تسـمية مـن شـهد العقبة، وبايع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بها من الأوْس والخـزرج ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين .

من الأوس بن حارثة : شهدها من الأوس بن حارثـة بـن ثَعلبـة بـن عَمرو بن عامر، ثم من بني عبد الأشْهل بن جُشَم بن الحارث بن الخـزرج بن عمرو بن الأوْس : أسَيْد بن حُضيْر بن سِمَاك بـن عَتِيـك بـن رافـع بـن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشْهَل ، نقيب لم يشـهد بـدرا. وأبـو الهَيْثـم بن التيهان ، واسمه مالك ، شهد بدراً. وسَلَمة بـن سـلامة بـن وَقْـش بـن زِغْبة بن زَعُوراء بن عبد الأشْهل ، شهد بدراً، ثلاثة نفر. قال ابـن هشـام : ويقال : ابن زعَوْراء.

من بني حارثة بن الحـارث : قـال ابـن إسـحاق : ومـن بنـي حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عَمرو بـن مالـك بـن الأوْس : ظُهَيْـر بـن رافع بن عَدي بن زيد بن جُشم بن حارثة: وأبو بُرْدَة بن نِيَار، واسمه هاني بن نِيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دُهْمان بن غَنْم بن ذُبْيان بن

هُمَيْم بن كاهل بن ذهْل بن هَنىّ بـن بَلِـىّ بـن عَمـرو بـن الحـاف بـن قُضاعة، حليف لهم شهد بدراً. ونُهَيْر بـن . الهَيْثـم ، مـن بنـى نـابي ابـن . مجْدعة بن حارثة، بن الحارث؛ بن الخزرج بن عَمرو بن مالك بــن الأوس ، ثم من آل السواف بن قيس بن عامر بن نايي بن مَجْدعة. بـن ، حارثـة. ثلاثة نفر.

من بني عمرو بن عوف : - ومن بنى عمرو بن عـوف بـن مالـك بن الأوس : سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَّـاط بـن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلَم بن امرئ القيس بن مالـك بـن الأوس ، نقيب ، شهد بدراً، فقُتل به مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم شهيداً.

قال ابن هشام : ونسبه ابن إسحاق في بنى عَمرو بن عوف؛ وهو من بني غَنْم بن السَّلَم لأنه ربما كانت دعوة الرجـل فـي القـوم ، ويكـون فيهم فيُنسب إليهم .

قال ابن إسحاق : ورفاعة بن عبد المُنْذِر بن زَنْبَر بن زيد بن أميــة بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو، نقيب ، شهد بدراً. وعبد الله بن جُبَيْر بن النعمان بن أمية ة بن البُرَك - واسم البُرَك : امرؤ القيس بن ثَعْلبة بن عَمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوْس - شهد! بدراً، وقُتل يـومَ أحـد شـهيداً أميراً لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم على. الرُّمَاة؛ ويقـال : أميـة.بـن البَرْك ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ومعْنُ بن عدي بن الجد بن .العَجْلان بن حارثــة بن ضبَيْعة، حليف لهم مـن بَلِـى، شـهد بـدراً وأحـداً والخنـدق، ومشـاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها، قُتل يومَ اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضى اللّه عنه ، وعُـوَيْم بـن سـاعدة، شـهد بـدرا وأحـدا والخندق . خمسة نفر.

فجميع من شهد العقبة من الأوس أحد عشر رجلا.

من الخزرج بن حارثة : وشهدها، من الخزرج بـن حارثـة بـن ثَعْلبـة بن عَمرو بن عامر؛ ثم من بنى النجار، وهو تَيْم اللّه بن ثعلبة بن عَمرو بن الخزرج : أبو أيوب ، وهو خالد بن زيد بن كلَيب بن ثَعلبة بن عبد بن عَوْف بن غَنْم بن مالك بن النجار، شهد بدرا وأحداً والخنـدق ، والمشـاهد كلهـا؛ مات بأرض الروم غازياً فـي زمـن معاويـة بـن أبـي سـفيان . ومُعـاذ بـن الحارث بن رفاعة بن سَواد بن مالك بن غَنْم بـن مالـك بـن النجـار، شـهد بدرا وأحداً والخندق ، والمشاهد كلها، وهو ابن عفراء، وأخـوه عَـوْف بـن الحارث شهد بدرا وقتل به شهيدا، وهو لعفراء. وأخوه مُعوّذ بن الحارث ، شهد بدرا وقُتل به شهيدا ، وهو الذي قَتل أبا جهل بن هشام بن المغيرة : وهو لعفراء - ويقـال : رفاعـة بـن الحـارث بـن سـواد - فيمـا **قال ابن هشامٍ** - وعُمارة بن حَزْم بن زيد بن لَوذان بن عَمْرو بن عبـد عـوف بـن غنْم بن مالك بن النجار: شهد بدرا وأحداً والخندق ، والمشاهد كلَّها، قُتـل يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر الصديق رض اللّه عنه . وأسـعد بـن زرارة ابن عُدَس بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم بـن مالـك بـن النجـار، نقيـب ، مات قبل بدر ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسـلم يُبنـى، وهـو أبـو أمامة . ستة نفر.

من بني عمرو بن مبذول : ومن بنى عمرو بن مبذول - ومبذول : عامر بن مالك بن النجار -: سهل بـن عَتيـك بـن نعمـان بـن عَمـرو ابـن عَتيك بن عمرو، شهد بدرا. رجل .

من بني عمرو بن مالك : ومن بنى عمرو بـن مالـك بـن النجـار، وهم بنو حُدَيْلة - قال ابن هشام : حُدَيْلـة : بنـت مالـك بـن زيـد مَنـاة بـن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج

- أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عَمرو بن زيد مَناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، شهد بدراً، وأبو طلحة، وهو زَيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عَمرو بن زيد مَناة بن عَدي بن مالك بن النجار، شهدا بدرا. رجلان .

من بني مازن بن النجار: ومن بنى مازن بن النجار، قيس بن أبي صَعصعة، واسم أبي صعصَعة : عَمرو بن زيد بن عوف بن مَبْذُول بن عَمرو بن غَنْم بن مازن ، شهد بدرا، وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم جعله على السَّاقة يومئذ. وعمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خَنْساء بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن . رجلان . فجميع .من شهد العقبة من بنى النجار أحد، عشر رجلا.

قال ابن هشام : عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء، هذا الذي ذكره ابن إسحاق ، إنما هو غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء.

من بني الحارث بن الخزرج : قال ابن إسحاق : ومن بلحارث بن الخزرج : سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زُهَيْر بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثَعْلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، نقيب ، شهد بدرا وقُتل يوم أحد شهيدا. وخارجة بن زيد بن أبي زُهَيْر بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، شهد بدراً وقُتل يوم أحد شهيدا. وعبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، نقيب ، شهد بدراً وأحداً والخندق ومشاهد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كلها، إلا الفتح وما بعده ، وقُتل يوم مؤتة شهيداً أميراً لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم . وبشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث أبو النعمان بن بشير، شهد بدراً. وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله بن زيد مَناة بن

الحارث بن الخزرج ، شهد بدرا، وهو الذي أرِيَ النداءَ للصلاة، فجاء بـه إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فأمر به ، وخَلاَّد بن سُوَيد بن ثعلبـة بن عمرو بن حارثة بن امـرئ القيـس بـن مالـك بـن ثعلبـة بـن كعـب بـن الخزرج ، شـهد بـدرا وأحـدا والخنـدق ، وقُتـل يـوم بنـى قُرَيْظـة شـهيدا، طُرِحَتْ عليه رحى من أطَم من أطَامهـا فشـدخته شـدخاً شـديداً، فقـال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - إن له لأجـر شـهيدين . وعُقبة بن عَمرو بن ثعلبة بن أسَيْرة بن عُسَيْرة بن جِـدَارة بـن عَـوْف بـن الحارث بن الخزرج ، وهو أبو مسعود وكان أحدث من شـهد العقبـة سِـنا، مات في أيام معاوية لم يشهد بدراً، سبعة نفر.

من بني بياضة: ومن بني بَيَاضة بن عامر بن زُريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جُشَم بن الخزرج : زيادِ بن لَبِيد بن ثعلبة بن سِنان بـن عامر بن عَدي بن أمية بن بَيَاضة، شهد بدراً، وفروة بن عَمرو بن وذْفَـة[165] بن عبيد بن عامر بن بياضة، شهد بدرا. قال ابن هشام : ويقال : ودفة .

قال ابن إسحاق : وخالد بن قَيْس بن مالك بن العَجْلان بـن عـامر ابن بَيَاضة شهد بدرا، ثلاثة نفر.

من بني زريق :ومن بني زُرَيق بن عامر بن زُرَيـق بـن عبـد حارثـة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج : رافع بن مالك بن العجلان بن

---

[165] الوذفة: الروضة الناعمة سميت بذلك ، لأنها تقطـر مـاء مـن نعمتهـا، والأداف الذكر وأصله : وداف سمي بذلك الموضع قطر الماء، ويقـال للروضـة الناعمة : الدفرى، وعمرو ابن ودفة هذا هو البياض الـذي روى عنـه مالـك فـي كتاب الصلاة، ولم يسمه ، وفي الأنصار بنـو النجـار، وهـم تيـم اللـه بـن ثعلبـة، سمى النجار فيما ذكروا لأنه نجر وجه رجل بقدوم وقيـل : كـان نجـاراً، وثعلبـة في العرب كـثير فـي الرجـال ، وقـال مـا يسـمون بثعلـب ، وإن كـان ذلـك هـو القياس كما يسمون بنمر وسبع وذئب .

عمرو بن عامر بن زُرَيْق ، نقيب ، وذَكوان بن عبد قيس بن خلدة ابن فخلَّد بن عامر بن زُرَيق ، وكان خرج إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وكان معه بمكة وهاجر إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من المدينة، فكان يقال له : مهاجري أنصاري ، شهد بدرا وقُتل يوم أحد شهيدا. وعبَّاد بن قيس بن عامر بن خَلدة ابن مخُلَّد بن عامر بن زُرَيق ، شهد بدرا، والحارث بن قيس بن خالد بن مَخْلَد بن عامر بن زُرَيْق ، وهو أبو خالد شهد بدرا، أربعة نفر.

من بني سلمة بن سعد: ومن بنى سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن سَارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الجزِرج ، ثم من بنى عبيد ابن عدى بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة : البَراء بن معرور بن صخر بن خَنْساء بن سِنان بن عبيد بن عدي بن غَنْم ، نقيب ، وهو الذي تزعُم بنو سلمة أنه كان أول من ضرب على يد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وشرط له ، واشترط عليه ، ثم تُوفي قبلَ مقْدَمِ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم المدينة. وابنه بشر بن البَراء بن معرور، شهد بدرا وأحدا والخندق ومات بخيبر من أكلة أكلها.مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، من الشاة التي سُمَّ فيها - وهو الذي قال له رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، حين سأل بني سلمة من سيدكم يا بني سَلَمة؟ فقالوا: الجَدُّ بن قَيْس ، على بخله ، فقال رسول صلى الله عليه وسلم: وأي داءٍ أكبر من البُخْل ! سيد بني سلَمة الأبيضُ الجَعْدُ بِشْر بن البَراء بن معرور – وسِنان بن صيفى بن صخر بن خنساء بن سِنان ابن عبيد، شهد بدرا، وقتل! يوم الخندق شهيدا. والطُّفَيْل بن النعمان ابن خَنْساء ابن سنان بن عُبَيْد، شهد بدرا، وحُمل يوم الخندق شهيدا. ومَعْقل بن المنذر بن سَرْح بن خُناس بن سِنان بن عُبَيْد، شهد بدرا، ويزيد بن المنذر، شهد بدرا، ومسعود بن يزيد بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثَعلبة بن عُبَيْد، شهد

بدرا، ويزيد بن حرام بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عُبَيْد، وجُبـار بـن صخْر بن أمية بن خَنْساء بن سِنان بن عُبَيد، شهد بدرا.

قال ابن هشام : ويقال : جَبَّار بن صخر بن أمية بن خُناس .

قال ابن إسحاق : والطفيل بـن مالـك بـن خنسـاء بـن سِـنان بـن عُبَيْد، شهد بدراً. أحد عشر رجلا.

من بني سواد بن غنم : ومـن بنـي سـواد بـن غَنْـم بـن صـب بـن سَلَمةَ، ثم من بني كعب بن سَوَاد: كعب بن مالك بن أبي كعب ابن القيْـن بن كعب ،رجل . .

من بني غنم بن سواد: ومن بني غَنْم بن سَوَاد بن غَنْـم بـن كعـب بن سَلَمة : سُلَيم بن عمرو بـن حديـدة بـن عمـرو بـن غنْـم ، شـهد بـدرا، وقُطْبة بن عامر بن حَديدة بن عمرو بن غنْم ، شهد بدرا، وأخوه يزيـد بـن عامر بن حَديدة بن عَمـرو بـن غَنْـم ، وهـو أبـو المنـذِر، شـهد بـدرا، وأبـو اليَسَر، واسمه كعب بن عمرو بن عَبَّاد بـن عَمـرو بـن غَنْـم ، شـهد بـدرا، وصَيْفيُّ بن سَوَاد بن عَبَّاد بن عَمرو بن غَنْم ، خمسة نفر.

قال ابن هشام : صيفى بن أسْود بن عَبَّاد بن عمـرو بـن غنـم بـن سَوَاد، وليس لسواد ابن يقال له : غَنْم .

من بني نابي : قال ابن إسحاق : ومن بنى نـابى بـن عَمْـرو بـن سَوَاد بن غنْم بن كعب بن سَلَمة : ثعلبة بن عَنَمَة بن عدي بن نابى، شــهد بدراً، وقُتل بالخندق شهيدا، وعمرو بن عَنَمَة بن عَـدي بـن بَـابي ، وعَبْـس بن عامر بن عدي بن نابى، شهد بدرا. وعبد اللـه بـن أنيْـس ، حليـف لهـم من قُضاعة وخالد بن عَمرو بن عَدِي بن نابى، خمسة نفر.

من بني حرِام بن كعب : قال ابن إسحاق : ومن بني حرام ابـن كعب بن غنْم بن كعب بن سَلَمة : عبد الله بن عمرو بن حـرام ابـن ثَعْلبـة بن حرام ، نقيب ، شهد بدرا، وقُتل يوم أحد شهيدا وابنه جابر بن عبد الله . ومُعاذ بن عَمرو بن الجَموح بن يزيد بـن حـرام ، شـهد بـدرا، وثـابت بـن الجِذْع - والجِذْع : ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حـرام - شـهد بـدراً، وقُتـل بالطائف شهيدا. وعُمَيْر بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام ، شـهد بدرا.

قال ابن هشام : عُمير بن الحارث بن لَبْدَة بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وخَدِيج بن سَلاَمة بن أوْس بن عمرو بن الفُرَافِرِ، حليف لهم من بَلِيّ . ومُعاذ بن جَبَل بن عَمرو بن أوْس بن عائذ بـن كعـب بن عَمرو بن أدِي بن سعد بن على بن أسد، ويقال : أسد بـن سَـارِدة بـن تَزيد بن جُشَم بن الخزرج؛ وكان في بنى سَلَمة، شهد بدرا والمشاهد كلّها ومات بعمْواس ، عام الطاعون بالشـام ، فـي خلافـة عمـر بـن الخطـاب رضى اللّه عنه ، وإنما ادعته بنو سَلَمة أنه كـان أخـا سـهل بـن محمـد بـن الجد بن قيس بن صخر بن خَنْساء بن سِنان ابن عبيد بن عدي بن غَنْم بن كعب بن سلمة . سبعة نفر.

قال ابن هشام: أوس: ابن عباد بن عدى بن كعب بـن عمـرو بـن أذن بن سعد

من بنى عوف بن الخـزرج : قـال ابـن إسـحاق : ومـن بنـى عَوْف بن الخزرج؛ ثم من بني سالم بـن عَـوْف بـن عَمْـرو بـن عـوف بـن الخزرج : عُبادة بن الصامت بن قَيْس بن أصْرَم بن فِهْر بن ثعلبة بـن غَنْـم بن سالم بن عَوْف ، نقيب شهد بدرا والمشاهد كلها.

قال ابن هشام : هو غَنْم بن عَوْف ، أخو سالم بن عَوْف بن عمرو ابن عوف بن الخزرج .

قال ابن إسحاق : والعباس بن عُبادة بن نَضْلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غَنْم بن سالم بن عوف وكان ممن خرج إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، فأقام معه بها، فكان يُقال له : مهاجري أنصاري ، وقُتل يوم أحد شهيدا، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خَزَمة بن أصرم بن عَمرو بن عُمارة، حليف لهم من بني غصينة من بلي . وعَمْرو بن الحارث بن لَبْدة بن عمرو بن ثَعلبة: أربعة نفر، وهم القَوَاقِل .

من بني سالم بن غنم : ومن بني سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحُبُلَّى - **قال ابن هشام :** الحبلى: سالم بن غنم ابن عوف ، وإنما سُمي الحبُلَّى لعظم بطنه - : رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غَنْم . شهد بدرا؛ وهو أبو الوليد.

قال ابن هشام : ويقال : رفاعة بن مالك ، ومالك : ابن الوليد بن عبد الله بن مالك بن ثعلبة بن جُشم بن مالك بن سالم .

قال ابن إسحق : وعقبة بن وهب بن كَلَّدة بن الجَعْد بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عدي بن جشم بن عوف بن بُهْثَة بن عبد الله بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ، حليف لهم ، شهد بدراً، وكان ممن خرج إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مهاجرا من المدينة إلى مكة، فكان يقال له : مهاجري أنصاري .

قال ابن هشام : رجلان .

من بني ساعدة بن كعب : قال ابن إسحاق : ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج : سعد بن عُبادة بن حارثة بن أبي خُزَيمة بن ثعلبة بن طَريف بن الخزرج بن سَاعدة نقيب ، والمُنذر بن عَمرو بن خنيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن جُشم بن الخزرج بن ساعدة. نقيب . شهد بدرا وأحدا. وقُتل يوم بئر معونة أميراً لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وهو الذي كان يقال له أعنق ليموت . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال : المنذر بن عمرو بن خنش .

قال ابن إسحاق : فجميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان منهم ، يزعمون أنهما قد بايعتا، وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لا يصافح النساءَ إنما كان يأخذ عليهنَّ ، فإذا أقررن ، قال : اذهبْنَ فقد بايعتكنَّ .

من بني مازن بن النجار: ومن بنى مازن بن النجار: نُسَيْبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عَمرو بن غَنْم بن مازن ، وهي أم عمارة، كانت شهدت الحرب مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، وشهدت معها أختها. وزوجها زيد بن عاصم بن كعب . وابناها: حبيب بن زيد، وعبد الله بن زيد، وابنها حبيب الذي أخذه مُسيلمة الكذاب الحنفي ، صاحب اليمامة، فجعل يقول له : أتشهد أن محمدا رسول اللّه ؟ فيقول : نعم فيقول : أفتشهد إني رسول اللّه ؟ فيقول : لا أسمع ، فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات في يده ، لا يزيده على ذلك ، إذا ذكر له رسول اللّه صلى الله عليه وسلم آمن به وصلى عليه ، وإذا ذكر له مُسيلمة قال : لا أسمع - فخرجتْ إلى اليمامة مع المسلمين ، فباشرت الحربَ بنفسِها، حتى قَتل اللّهُ مسيلمةَ ورجعت وبها اثنا عشر جرحا، من بين طعنة وضربة .

قال ابن إسحاق : حدثني هذا الحديث عنها محمـدُ بـن يحيـى بـن حِبَّان ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصَعة .

من بني سلمة : ومن بنى سلمة: أم مَنيع ، واسـمها: أسـماء بنـت عَمرو بن عَدي بن نابى بن عمرو بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة[166].

بسم اللّه الرحمن الرحيم

نزول الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال

قال : **حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام** ، قـال : حـدثنا زيـاد ابن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المطّلبى : وكان رسول اللّـه صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يُؤْذَن له في الحرب ولـم تُحلـل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء إلى اللّـه والصـبر علـى الأذى، والصـفح عـن الجاهل ، وكانت قريـش قـد اضـطهدت م ن اتبعـه مـن المه اجرين حـتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم ، فهم مـن بيـن مفتـون فـي دينـه ، ومن بين مُعذَّب في أيديهم ، ومن بين هارب في البلاد فرارا منهم ، منهم مَن بأرض الحبشة، ومنهم من بالمدينة، وفي كل وجه ، فلما عتت قريش على اللّه عز وجل ، وردّوا عليه ما أرادهم بـه مـن الكرامـة، وكـذبوا نـبيه صلى الله عليه وسـلم ، وعـذبوا ونَفَـوْا مـن عبَـدَه ووحَّـده وصـدَّق نـبيه ، واعتصم بدينه ، أذن اللّه عز وجـل لرسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم فـي القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم .

---

[166] راجع زيادة في أنساب من ذكـروا وأخبـارا كـثيرة عنهـم فـي الـروض الأنف بتحقيقنا جـ 2 ص 214 وما بعدها.

فكانت أولُ آية أنزلت في إذنه له في الحرب ، وإحلاله الدماء والقتـال ، لمن بنى عليهم ، فيما بلغنى عن عروة بـن الزبيـر وغيـره مـن العلمـاء، قول الله تبارك وتعالى: **{**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّـهَ عَلَـى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ(39)الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَـقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُـوا رَبُّنَـا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّـاسَ بَعْضَـهُمْبِبَعْضٍ لَهُـدِّمَتْ صَـوَامِعُ وَبِيَـعٌ وَصَـلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْـمُ اللَّـهِ كَثِيـرًا وَلَيَنصُـرَنَّ اللَّـهُ مَ نْ يَنصُـرُهُ إِنَّ اللَّـهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(40)الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَـوْا الزَّكَـاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**}**:[الحج: 39ــ41] أي أني إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظُلموا، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس ، إلا أن يعبدوا اللـه، وأنهـم إذا ظهـروا أقـاموا الصـلاة، وآتـوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر، يعني النبي صلى الله عليـه وسلم وأصحابَه رضي اللّه عنهم أجمعين ، ثـم أنـزل اللّـه تبـارك وتعـالى عليه : **{**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَة**}**: أي حتى لا يفتَن مـؤمن عـن دينـه **{**وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ**}**[البقرة: 193]: أي حتى يُعبد اللّه ، لا يُعبد معه غيره .

الإذن لمسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة : قال ابن إسـحاق : فلما أذن اللّه تعالى له صلى الله عليه وسلم في الحـرب ، وبـايعه هـذا الحي من الأنصار على الإسلام والنُّصْرة له ولمن اتبعه ، وأوى إليهـم مـن المسـلمين ، أمـر رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أصـحابه مـن المهاجرين من قومه ، ومـن معـه بمكـة مـن المسـلمين ، بـالخروج إلـى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال : إن اللّـه عـز وجل قد جعل لكـم إخوانـا ودارا تـأمنون بهـا، فخرجـوا أرْسـالاً[167]، وأقـام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له رُّبه في الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة.

[167] أرسالا: أي جماعة وراء جماعة.

ذكر المهاجرين إلى المدينة

هجرة أبي سلمة وامرأته : فكان أولُ من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش، من بني مخزوم : أبو سَلمة بن عبد الأسَد بن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ، واسمه : عبد الله ، هاجر إلى المدينة قبل بَيعة أصحاب العقبة بستة، وكان قدم على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش ، وبلغة إسلام من أسلم من الأنصار، خرج إلى المدينة مهاجرا.

قال ابن إسحاق : حدثني أبي : إسحاق بن يسار، عن سَلَمة بن عبد الله بن عُمر بن أبي سَلَمة عن جدته أم سلمة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت : لما أجمع أبي سلمة الخروج إلى المدينة رحَّل لي بعيره ثم حملني عليه ، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ، ثم خرج بي يقود بعيرَه ، فلما رأته رجالُ بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه ، فقالوا: هذه نفسك غلبتَنا عليها، أرأيتَ صاحبتك هذه ؟ علامَ نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت : فنزعوا خطامَ البعير من يده ، فأخذونى منه قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهْط أبي سلمة، فقالوا: لا واللّه ، لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت : فتجاذبوا بُنَيَّ سَلَمة بينهم حتى خلعوا يدَه وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سَلَمة إلى المدينة. قالت : ففرق بيني وبين زوجي وبين ابنى.

قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطَح ، فما أزال، أبكي ، حتى أمسي : سنةً أو قريبا منها حتى مر بي رجل من بنى عمى، أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها! قالت: فقالوا

لي : الحقي بزوجك إن شئتِ . قالت : ورد بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابنى .

قالت : فارتحلت بعيري ثم أخذت ابنى فوضعته في حجري ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة . قالت : وما معي أحد من خلق اللّه . قالت : أتبلّغ بمن لَقِيتُ حتى أقْدُمَ على زوجي ، حتى إذا كنت بالتنعيم[168] لَقِيتُ عثمانَ بن طلحة بن أبي طلحة، أخا بنى عبد الدار فقال لي : إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت : فقلت أريد زوجي بالمدينة. قال : أوَما معكِ أحد؟ قالت : فقلت : لا واللّه ، إلا اللّه وبُنَيَّ هذا. قال : والله ما لك من مَتْرك ، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي ، فواللّه ما صحبت رجلا من العرب قط ، أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ، ثم استأخر عنى؛ حتى إذا نزلت استأخر ببعيري ؟ فحطّ عنه ، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عنى إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرَّواحُ ، قام إلى بعيري فقدمه فرَحله ثم استأخر عنى، وقال : اركبى، فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذه بخطامِه فقاده ، حتى ينزل بي حتى أقدمنى المدينة، فلما نظر إلى قرية بنى عَمْرو بن عَوْف بقُباء، قال : زوجُك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلا - فادخليها على بركة اللّه ، ثم انصرف راجعاً إلى مكة.

قال : فكانت تقول : واللّه ما أعلم أهلَ بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرمَ من عثمان ابن طلحة[169].

---

[168] موضع على فرسخين من مكة.

[169] وقد كان عثمان يومئذ على كفره ، وإنما أسلم عثمان في هدنة الحديبية، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد، وقُتل يوم أحد إخوته مسافع ، وكلاب والحارث ، وأبوهم ، وعمه عثمان بن أبي طلحة قتل أيضا يوم أحد كافراً وبيده كانت مفاتيح الكعبة ودفعها رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة؛ وإلى ابن عمه شيبة بن أبي عثمان بن أبي طلحة وهو جد بنى شيبة حجبة الكعبة، واسم أبي طلحة جدهم : عبد الله بن عبد الله بن عبد العزى، وقُتل عثمان رحمه اللّه شهيداً بأجنادين في أول خلافة عمر.

هجرة عامر بن ربيعة وبني جحش : قـال ابـن إسـحاق : ثـم كان أول من قدمها مـن المهـاجرين بعـد أبـي سـلمة : عـامر بـن ربيعـة، حليف بني عدي بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة بـن غـانم ابـن عبد الله بن عَوْف بن عُبَيد بن عَدي بن كعب . ثم عبد الله بن جَحْـش بـن رِئاب بن يَعْمُر بن صَبرة بن مُرة بن كثير بن غَنْم بـن دُودان بـن أسـد بـن خُزَيمة، حليف بني أمية بن عبـد شـمس ، احتمـل بـأهله وبـأخيه عبـد بـن جَحْش، وهو أبو أحمد - وكان أبو أحمد رجلا ضـرير البصـر، وكـان يطـوف مكة، أعلاها وأسفلها، بغير قائد، وكان شاعراً، وكانت عنده الفَرْعَـة بنـت أبي سفيان بن حرب ، وكانت أمه أميمة بنت عبـد المطلـب بـن هاشـم - فغُلِّقت دار بنى جَحْش[170]

---

[170] وبنو جحش، هم : عبد الله وأبو أحمد واسمه : عبد، وقد كـان أخـوهم عبيد اللّه أسلم ثم تنصر بأرض الحبشة، وزينب بنت جحـش أم المـؤمنين الـتي كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيها: { فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَـرًا زَوَّجْنَاكَهَـا} [الأحزاب: 37] وأم حبيب بنت جحش التيَ كانت تستحاض ، وكانت تحت عبـد الرحمن بن عوف وحمنة بنت جحش التى كانت تحت مصعب بن عمير، وكانت تستحاض أيضا، وقد روي أن زينـب استحيضـت ، أيضـاً، ووقـع فـي الموطـأ أن زينب بنت جحش التي كانت تحت عبد الرحمـن بـن عـوف ، وكـانت تسـتحاض ولم تك قط زينب عند عبد الرحمن بن عوف ، ولا قـاله أحـد، والغلـط لا يسـلم بشر منه ، وإنما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب ، ويقال فيها أم حبيبـة، غير أن شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاح ، أخـبرنى أن أم حـبيب كـان اسـمها: زينب فهما زينبان غلبت على إحداهما الكنيـة، فعلـى هـذا لا يكـون فـي حـديث الموطأ وهم ولا غلط واللّه أعلم . وكان اسم زينب بنت جحش : بـرة فسـماها رسول اللّه صلى الله عليه وسلم زينب ، وكـذلك زينـب بنـت أم سـلمة ربيبتـه عليه السلام ، كان اسمها برة، فسماها زينب كأنه كره أن تزكي المرأة نفسـها بهذا الاسم ، وكان اسم جحش بن رئاب : برة بضم الباء، ففالت زينب لرسـول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله

لو غيرت اسم أبي، فإن البرة صغيرة، فقيل : إن رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم قال لها: لو أبوك مسلما لسميته باسم مـن أسـمائنا أهـل الـبيت ، ولكني سميته جحش والجحش أكبر من البرة . وذكر هذا الحديث مسـنداً فـي كتاب (المؤتلف والمختلف) ، لأبي الحسن

الدارقطني . (عن الروض الأنف ، للإمام السهيلي. بتحقيقنا).

هجرةً، فمر بها عُتبة بن ربيعة، والعباس بن عبد المطلب ، وأبو جهل ابن هشام بن المغيرة، وهي دار أبان بن عثمان اليوم التي بالردْم ، وهم مُصعِدون إلى أعلى مكة، فنظر إليها عُتبة بن ربيعة تخفقَ أبوابُها يَباباً[171] ليس فيها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصُّعَداء، ثم قال :

وكل دار وإن طالت سلامتُها يوماً ستُدركُها النكْباءُ والحُوبُ[172]

قال ابن هشام : وهذا البيت لأبي دُؤاد الإيادي في قصيدة له .

والحوب : التوجع .

قال ابن إسحاق : ثم قال عتبة بن ربيعة : أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها! فقال أبو جهل : وما تبكي عليه من قُلّ ابن قُلَّ .

قال ابن هشام : القُل : قال لَبيد بن ربيعة :

كل بنى حرة مصيرهم قل وإن أكثرتْ من العَددِ

---

171 اليباب : القفر .

172 الشعر لأبى دؤاد الإيادي واسمه : حنظلة بن شرقي ، وقيل جارية بن الحجاج ، ودار بني جحش عند دار أبان بن عثمان بالردم والردم؛ حفر ردم بالقتلى في الجاهلية، فسمى : الردم؛ وذلك في حرب كانت بين بني جمح ، وبين بنى الحارث ابن فهر، وكانت الدبرة فيها على بني الحارث ، ولذلك قَل عددُهم ، فهم أقل قريش عدداً والبيت التالي لهذا البيت هو:

كل امرئ بلقاء الموت مرتهن كأنه غرض للموت منصوب

قال ابن إسحاق : ثم قال : هذا عمل ابن أخى هذا، فـرق جماعتنـا، وشتت أمرَنا وقطع بيننا. فكان منزل أبي سـلمة بـن عبـد الأسـد، وعـامر ابني ربيعة، وعبد الله بن جحش، وأخيه أبي أحمد بن جحش، على مبشـر بـن عبـد المنـذر بـن زنـبر بقُبـاء، فـي بنـي عمـرو بـن عـوف ، ثـم قـدم المهاجرون أرْسالاً، وكان بنو غَنم بن دوادن أهل إسلام ، قـد أوعبـوا إلـى المدينة مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم هجـرة رجـالهم ونسـاؤهم : عبد الله ابن جحش ، وأخوه أبو أحمد بن جحش ، وعُكاشـة بـن مِحصـن ، وشُجاع ، وعقبة، ابنا وهب ، و أَرَبد بن حُمَيِّرَة .

قال ابن هشام : ويقال ابن حُمَيْرَة .

هجرة بعض الرجال ونسائهم : قال ابن إسـحاق : ومُنْقـذ بـن نُباتة، وسعيد بن رُقَيش، ومُحرز بن نَضلة، ويزيد بن رُقيـش، وقيـس ابـن جابر، وعَمرو بن مِحصن ، ومالك بن عمرو، وصفوان بن عمرو، وثَقْف بن عمرو[173]، وربيعة بن أكثم ، والزبير بن عُبيد، وتمَّام بن عُبيدة، وسَخْبَرة بن عُبَيْدة، ومحمد بن عبد الله بن جَحْش.

ومن نسائهم : زينب بنت جَحش، وأم حَبيب بنت جَحْش، وجُذَامة بنـت جَنْدَل[174] ، وأم قيس بنت مِحْصن ، وأم حـبيب بنـت ثُمامـة[175]، وآمنـة بنـت رُقيشَ ، وسَخْبَرة بنت تميم ، حَمْنة بنت جحش .

---

173 ثقف بن عمرو: ويقال فيه : ثقاف شهد هو وأخوه مدلاج بدراً وقتل يوم أحد شهيدا وقال موسى بن عقبة قتل يوم خيبر قتله أسبر اليهودي .

174 وذكر في نساء بني جحش : جذامة بنت جندل ، وأحسبه أراد جذامة بنت وهب بن محصن ، وهي المذكورة في حديث الرضاع في الموطأ، وقال فيها خلف بن هشام

البزار: جذامة بالذال المنقوطة هكذا ذكر عنه الإمـام مسـلم بـن الحجـاج والمعروف : جدامة بالدال ، وقد يقال فيها جدُامة بالتشـديد، والجدامـة قصـب الزرع ، وأملى علينا أبو بكر الحافظ ، وكتبت عنه بخط يـدي قـال المبـارك بـن عبد الجبار عن أبي إسحاق البرمكى عن محمد بن زكريـا بـن حبـويه عـن أبـي عمر الزاهد المطرز قال : الجدَّامة : بتشديد الدال طرف السعفة وبـه سـميت المرأة، وكانت جدامة بنت وهب تحت أنيس

ابن قتادة الأنصارى وأمـا جدامـة بنـت جنـدل ، فلا تعـرف فـي آل جحـش الأسديين ، ولا في غيرهم كما وقع في الكتاب ، وأنها بنت وهب بن محصن بنت أخي عكاشة ابن محصن ، كما قدمنا والله أعلم . (عن الروض الأنف للسهيلي - بتحقيقنا).

175 أم حبيب بنت ثمامة: وهي ما أغفله أبو عمرو في كتابه ، وأغفل أيضاً ذكر ثمام ابن عبيدة، وهو ممن ذكره ابن إسحاق في هـذه الجملـة المـذكورين من بني أسد.

(عن الروض الأنف للسهيلي - بتحقيقنا).

وقال أبو أحمد بن جَحْش بن رِئاب ، وهـو يـذكر هجـرة بنـي أسـد ابـن خُزَيمة من قومه إلى اللّه تعالى وإلـى رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم ، وإيعابهم في ذلك حين دُعوا إلى الهجرة :

ولو حلفتْ بين الصفا أمُّ أحمـد ومَرْوتها باللّهِ بَرَّتْ يمينُها
لنحنُ الألى كنا بها ثُم لم نـزلْ بمكةَ حتى عاد غَثًّا سمينُها
بها خيَّمت غَنْم بنُ دُوادنَ وابتنتْ وما إِنْ غَدتْ غَنْم وخف قطينُها[176]

إلى اللّه تغدو بين مَثْنى وواحـدٍ ودينُ رسولِ اللّه بالحقِّ دينُها

وقال أبو أحمد بن جحش أيضاً:

لما رأتنى أمُّ أحمدَ غاديــاً بذمةِ من أخشى بغَيْبٍ وأرهبُ
تقول : فإما كنتَ لا بدَّ فاعـلا فيممْ بنا البلدانَ ولتنأ يثربُ
فقلت لها: بل يثربُ اليومَ وجهُنا وما يشاءُ الرحمنُ فالعبدُ يركبُ
إلى اللّهِ وجهي والرسول ومن يُقمْ إلى اللّهِ يوماً وجهُه لا يُخيَّبُ
فكم قد تركنا من حميم مُناصـحٍ وناصحةٍ تبكى بدمعٍ وتندُبُ
ترى أن وِتراً نأينا عن بلادِنـا ونحنُ نرى أن الرغائبَ تُطْلَبُ
دعوْتُ بنى غَنْمٍ لحقْنِ دمائِهـم وللحق لما لاح للناسِ مَلْحبُ[177]

---

[176] القطين : القوم المقيمون .

[177] الملحب : الطريق الواضحة.

أجابوا بحمدِ اللّهِ لما دعاهــمُ إلى الحقِّ داعٍ والنجاح فأوْعبوا
وكنا وأصحاباً لنا فارقوا الهدَى أعانوا علينا بالسلاح وأجْلَبوا
كَفَوْجَيْن : أمَّا منهما فمُوفّــَق على الحقِّ مهدى ، وفوج مُعَذَّبُ
طغَوْا وتمنوْا كذبة وأزلّهــم عن الحقِّ إبليس فخابوا وخُيبوا
وَرِعْنا إلى قولِ النبيِّ محمـد فطاب وُلاةُ الحقِّ منا وطُيِّبوا[178]
نميْتْ بأرحام إليهم قريبــةٍ ولا قربَ بالأرحام إذ لا نُقَرَّبُ
فأيُّ ابنِ أختٍ بعدَنا يأمنَنَّكـم وأيةُ صِهْر بعدَ صِهريَ ترْقَبُ
ستعلمُ يوماً أينا - إذ تزايلوا وزُيل أمرُ الناسِ - للحقِّ أصوبُ

قال ابن هشام : قوله " ولتنأ يثرب "، وقوله " إذ لا نقرب "، عـن غيـر ابن إسحاق .

قال ابن هشام يريد بقوله : " إذ " إذا، كقول اللّه عز وجــل : **{**إِذْ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ**}**.[سبأ: 31] قال أبو النجم العِجْلي :

ثم جزاه اللّه عنا إذ جَزَى جنَّات عدنٍ في العَلالى والعُلاَ

هجرة عُمر وقصة عياش وهشام معه

قال ابن إسحاق : ثم خرج عُمر بن الخطاب ، وعَيَّاش بن أبي ربيعة المخزومى، حتى قدما المدينة . فحدثني نافع مـولى عبـد اللـه بـن عمـر، عن عبد الله بن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب ، قال : اتعَدْتُّ ، لما أردنا الهجرة إلى المدينة، أنا وعَيَّاش بن أبي ربيعة، وهشام

[178] رعنا: رجعنا.

ابن العاص بن وائل السهمي التَّناضِبَ[179] من أضاة بني غفار[180]، فـوق سَرِف وقلنا: أينا لـم يصـبح عنـدها فقـد حُبـس فليمـض صـاحباه . قـال : فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعـة عنـد التَّناضِـب ، وحُبـس عنـا هشـام ، وفُتِن فافتتن .

أبو جهل يغرر بعياش بن أبي ربيعة: فلمـا قـدمنا المدينـة نزلنـا في بني عَمرو بن عوف بقُباء، وخرج أبـو جهـل بـن هشـام والحـارث بـن هشام إلى عَيَّاش بن أبي ربيعة، وكان ابن عمهما وأخاهمـا لأمهمـا، حـتى قدما علينا المدينة ورسول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بمكـة، فكلمـاه وقـالا: إن أمَّـك قـد نـذرت أن لا يَمـس رأسَـها مُشـط حـتى تـراك ،. ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فرقَّ لها، فقلت له : يا عياش ، إنه واللّـه إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرْهم ، فواللّه لـو قـد أذى أمَّـك القملُ لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حرُّ مكة لاستظلت . قال : فقـال : أبرّ قَسَمَ أمي، ولي هنالك مال فآخذه . قال : فقلـت : واللّـه إنـك لتعلـم أني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما. قال : فـأبى علي إلا أن يخرج معهما؛ فلما أبـي إلا ذلـك؛ قـال : قلـت لـه : أمـا إذ قـد فعلت ما فعلت ، فخذ ناقتى هذه ، فإنها ناقة نجيبة ذلول ، فالزم ظهرَهـا، فإن رابك من القوم ريْب ، فانجُ عليها.

فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال له أبو جهـل : يا بن أخي ، واللّه لقد استغلظتُ بعيري هذا، أفلا تُعْقِبنى على

---

[179] التناضب : بكسر الضاد، كأنه جمـع تنضـب وهـر ضـرب مـن الشـجر، تألفه الجرباء. ذكره أبو حنيفة الدينوري في النبات .

[180] أضاة بنى غفار: هي على عشرة أميال مـن مكـة، والأضـاة : الغـدير، كأنها مقلوب من وضأة على وزن فعلـة، واشـتقاقه مـن الوضـاءة بالمـد وهـى النظافة، لأن الماء ينظف ، وجمع الأضاءة أضاء.

ناقتك هذه ؟ قال : بلَى . قال : فأنـاخ ، وأناخـا ليتحـول عليهـا، فلمـا استَوَوْا بالأرض عـدَوَا عليـه ، فأوثقـاه وربطـاه ثـم دخلا بـه مكـة، وفتنـاه فافتُتن .

قال ابن إسحاق : فحدثني به بعـضُ آل عَيَّـاش بـن أبـي ربيعـة : أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهاراً مُوثَقا، ثم قـالا: يـا أهـل مكـة، هكـذا فافعلوا بسفهائكم ، كما فعلنا بسفيهنا هذا.

كتاب عمر إلى هشام بن العاص : قال ابن إسحاق : وحـدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر، عن عمر في حديثه ، قال : فكنـا نقـول : مـا اللّه بقابل ممن افتُتـن صَـرْفاً ولا عَـدْلاً ولا تَوْبـة، قـوم عرفـوا اللّـه ، ثـم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم أ قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسِهم . فلما قَدِم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم المدينة، أنـزل اللّـه تعـالى فيهـم ، وفى قولنا وقولهم لأنفسهم : **{** قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِـنْ رَحْمَـةِ اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ يَغْفِـرُ الـذُّنُوبَ جَمِيعًـا إِنَّـهُ هُـوَ الْغَفُـورُ الرَّحِيمُ(53)وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ(54)وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِـنْ قَبْـلِ أَنْ يَـأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**}**[الزمر: 53ـ55][181].

قال عمر بن الخطاب فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشـام بن العاص قال : فقال هشام بن العاص : فلما أتتني جعلت أقرؤهـا بـذي طَوَى[182]، أصعد بها فيه وأصَوَّب ولا أفهمها حتى قلت :

---

[181] نزلت هذه الآيات في المستضعفين بمكة .

[182] ذو طوى موضع بأسفل مكة، ذكر أن آدم لما هبط إلى الهند، ومشى إلى مكة، وجعل الملائكة، تنتظره بذي طوى، وأنهم قـالوا لـه : يـا آدم مـا زلنـا ننتظرك هاهنا منذ ألفي سنة، وروي أن آدم كان إذا أتى البيت خلـع نعليـه بـذي طوى، وأما ذو طواء بالمد، فموضع آخر بين مكة والطائف هكذا ذكره البكري ، وأما طوى بضم الطاء والقصر المذكور في التنزيل ، فهو بالشام اسم للـوادي المقدس ، وقد قيل : ليس باسم له ، وإنما هو من صفة التقدير، أي : المقدس مرتين .

اللهم فَهمْنيها. قال : فألقى اللّهُ تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا، وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا. قال : فرجعت إلى بعيري ، فجلست عليه ، فلحقت برسول اللّه صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة.

أمر الوليد بن الوليد مع عياش وهشام : قال ابن هشام : فحدثني من أثق به : أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال ، وهو بالمدينة : من لي بعَيَّاش ابن أبي ربيعة، وهشام بن العاص فقال الوليد بن الوليدِ بن المغيرة : أنا لك يا رسول اللّه بهما، فخرج إلى مكة، فقدمها مستخفياً، فلقي امرأة تحمل طعاما فقال لها: أين تريدين يا أمة اللّه ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين – تعنيهما – فتبعها حتى عرف موضعهما، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له ؟ فلما أمسى تسور عليهما، ثم أخذ مَرْوة[183] فوضعها تحتَ قيديهما، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما، فكان يقال لسيفه : " ذو المرْوة " لذلك ، ثم حملهما على بعيره ، وساق بهما، فعثر فدَميت إصبُعه ، فقال :

هل أنتِ إلا إصبعٌ دميت ... وفى سبيلِ اللّهِ ما لَقيتِ

ثم قدم بهما على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم المدينة .

---

[183] المروة : الحجر.

منازل المهاجرين بالمدينة

منزل عمر وأخيه وعمرو وعبد الله ابني سراقة وخنيس بن حذافة وبني البكيَر: قال ابن إسحاق : ونزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ومن لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطاب؛ وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر، وخُنَيس بن حُذافة السَّهْمي – وكان صهره على ابنته حَفْصة بنت عمر، فخلف عليها رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بعده – وسعيد بن زيد بن عَمرو بن نُفَيل ، وواقد بن عبد الله التميمي ، حليف لهم؛ وخَوْليّ بن أبي خَوْلِيّ ؛ ومالك بن أبي خَوْلِيّ ، حليفان لهم .

قال ابن هشام : أبو خولى: من بني عجل بن لُجَيم بن صعب ابن على بن بكر بن وائل .

قال ابن إسحاق : وبنو البُكير أربعتهم : إياس بن البكير، وعاقل ابن البُكير، وعامر بن البكير، وخالد بن البكير، وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث ، على رفاعة بن عبد المنذر بن زنْبَر، في بنى عَمرو ابن عَوْف بقُباء، وقد كان منزل عَيَّاش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة .

منزل طلحة وصهيب : ثم تتابع المهاجرون ، فنزل طلحة بن عبيداللّه ابن عثمان ، وصُهيب بن سنان على خُبَيْب[184] بن إساف أخي بلحارث

---

[184] خبيب : لم يكن حين نزول المهاجرين عليه مسلما في قول الواقدي بل تأخر إسلامه ، حتى خرج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى بدر، قال خبيب : فخرجت معه أنا ورجل من قومي ،

وقلنا له : نكره أن يشهد قومنا مشهداً لا تشهده معهم ، فقال : أسلمتما؟ فقلنا: لا، فقال : ارجعا؛ فإنا لا نستعين بمشرك .

وخبيب هو الذى خلف على بنت خارجة بعد أبي بكر الصديق ، واسمها: حبيبة، وهي التي يقول فيها أبو بكر عند وفاته : ذو بطن بنت خارجة أراها جارية، وهي : بنت خارجة بن أبي زهير، والجارية : أم كلثوم بنت أبي بكر، مات خبيب في خلافة

عثمان ، وهو جد خبيب بن عبد الرحمن ، الذي يروي عنه مالك في موطئه .

ابن الخزرج بالسُّنْح[185] ، ويقال : بل نزل طلحة بن عُبيداللّه على أسعد ابن زُرارة، أخي بني النجار.

قال ابن هشام : وذُكر لي عن أبي عثمان النهْدي أنه قال : بلغني أن صُهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صُعلوكا حقيرا، فكثر مالُك عندنا، وبلغتَ الذي بلغتَ ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسِك ، واللّه لا يكون ذلك؛ فقال لهم صُهَيْب : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ قالوا: نعم . قال : فإنى جعلت لكم مالي. قال : فبلغ ذلك رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فقال : ربح صُهيب؛ ربح صهيب .

منزل حمزة وزيد وأبي مرثد وابنه وأنسة وأبي كبشة :

قال ابن إسحاق : ونزل حمزةُ بنُ عبد المطلب ، وزيد بن حارثة، وأبو مَرْثَد كَنّاز بن حِصْن .

قال ابن هشام : ويقال ، ابن حُصَيْن - وابنه مرثد الغنويان ، حليف حمزة بن عبد المطلب وأنَسة، وأبو كَبْشة[186]، موليا رسول اللّه

---

[185] السنح : بعوالي المدينة.

[186] أنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من مولدي السراة ويكنى : أبا مسروح شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ومات في خلافة أبي بكر، وأبو كبشة اسمه : سُلَيم يقال

انه من فارس ، ويقال؛ من مولدي أرض دوس ، شهدا بدراً والمشاهد كلها مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ومات في خلافة عمر في اليوم الذي ولد فيه عروة بن الزبير، وأما الذي كانت كفار قريش تذكره وتنسب النبي عليه السلام إليه ، وتقول قال ابن أبي كبشة

وفعل ابن أبي كبشة، فقيل فيه أقوال : قيل : أنها كنية أبيه لأمه وهب بن عبد مناف؛ وقيل : كنية أبيه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى، وقيل : إن سلمى أخت عبد المطلب كان بكنى أبوها أبا كبشة وهو عمرو بن لبيد، وأشهر من هذه الأقْوال كلها عند الناس أنهم شبهوه برجل كان يعبد الشعرى وحده دون العرب ، فنسبوه إليه لخروجه عن دين قومه . وذكر الدارقطني اسم أبي كبشة هذا في المؤتلف والمختلف ، فقال : اسمه وجالمؤتلف و المختلف ، فقال : اسمه وجز بن غالب ، وهو خزاعي ، وهو من بني غبشان .

صلى الله عليه وسلم، على كُلثوم بن هِدْم ، أخي بني عمرو بن عَوْف بقُباء[187] ويقال بل نزلوا على سعد بن خَيْثمة ويقال : بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زُرارة، أخي بني النجار. كل ذلك يقال .

منزل عبيدة وأخيه والحصين وغيرهم : ونزل عبيدة بن الحارث ابن المطلب ، وأخوه الطُّفَيل بن الحارث ، والحُصَيْن بن الحارث ، ومِسْطَح ابن أثَاثة بن عَبّاد بن المطلب ، وسُوَيْبط بن سعد بن حُرَيْملة، أخو بني عبد الدار وطُلَيب بن عُمَير، أخو بنى عبد بن قصي ، وخَبّاب ، مولي عُتبة بن غزوان ، على عبد الله بن سلمة، أخي بلعجلان بقباء.

منزل عبد الرحمن بن عوف : ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخي بِلْحَارث بن الخزرج ، في دار بِلحارث بن الخزرج .

منزل الزبير وأبي سبرة: ونزل الزبير بن العوام ، وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزى، على مُنْذِر بن محمد بن عُقْبة بن أحَيْحة ابن الجُلاح بالعُصبة، دار بنى جحجبي .

منزل مصعب بن عمير: ونزل مُصْعَب بن عُمَير بن هاشم ، أخو بنى عبد الدار على سعد بن مُعاذ بن النعمان ، أخى بنى عبد الأشْهل ، في دار بني عبد الأشْهل .

---

[187] وذكر نزولهم بقباء، وهو مسكن بني عمرو بن عوف وهو على فرسخ من المدينة، وهو يمد ويقصر ويؤنث ويذكر، ويصرف ولا يصرف.

وقباء: مأخوذ من القبو، وهو الضم والجمع قاله أبو حنيفة الدينوري، وقال : القوابي هن اللواتي يجمعن العصفر واحدتهن : قابية . قال : وأهل العربية يسمون الضمة من الحركات قبواً.

منزل .أبي حذيفة : ونزل أبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة، وسالم مولي أبي حذيفة .

قال ابن هشام : سالم مولى أبي حُذَيفة سائبة لثُبَيْتة .بنت يَعَار بن زيد بن عُبَيْد بن زيد بن مالك بن عوف بن عَمْرو بن عوف بن مالك بن الأوْس ، سيبته فانقطع إلى أبي حذيفة بن عُتْبة بن ربيعة فتبناه ، فقيل : سالم مولى أبي حذيفة، ويقال : كانت ثُبَيْتة بنت يَعار تحت أبي حُذيفة بن عتبة فأعتقت سالماً سائبة . فقيل : سالم لي أبي حذيفة[188].

منزل عتبة بن غزوان : قال أبن إسحاق : ونزل عتبة بن غزوان ابن جابر على عَبَّاد بن بشر بن وَقْش أخي بني عبد الأشْهل ، في دار عبد الأشهل .

منزل عثمان بن عفان : ونزل عثمان بن عفان على أوْس بن ثابت بن المنذِر، أخى حسان بن ثابت في دار بني النجار، فلذلك كان حسان يحبُّ عثمان ويبكيه حين قُتل .

وكان يقال : نزل الأعزابُ من المهاجرين على سعد بن خَيْثمة، وذلك أنه كان عَزَبا، فاللّه أعلم أي ذلك كان .

تم بعون اللّه . الجزء الثاني : من السيرة النبوية لابن هشام
ويليه - إن شاء اللّه - الجزء الثالث وأوله : هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم
أعان اللّه على إتمامه .

---

[188] سالم مولى أبي حذيفة : الذى كان أبو حذيفة قد تبناه كما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً، وكان سائبة أى : لا ولاء عليه لأحد، وذكر المرأة التي أعتقته سائبة، وهي ثبيتة بنت يعار، وقد قيل في اسمها بثينة ذكره أبو عمر بن عبد البر وذكر عن الزهرى أنه كان يقول فيها: بنت تعار وقال ابن شيبن في المعارف : اسمها سلمى ويقال في اسمها أيضاً: عمرة، وقد أبطل التسييب في العتق كثير من العلماء.